السنة الخامسة | العدد ١٧ | ١ ايلول سنة ١٩٠٢

المشرق

المناجم المعدنيَّة في الدولة العليَّة

نظرٌ للاب لويس شيخو اليسوعي

طالما طرق مسامعنا ذكر المناجم الغنيَّة التي وقفت عليها الدول في انحاء المعمور وقد نقلت الينا الجرائد انهُ ما لبثت اللجنات ان تشكلت لاستثمارها وربحت منها الارباح الفاحشة التي اغنت البلاد وسوَّلت طرائق جديدة يرتزق منها العباد فكم تمنَّى حينئذٍ اهل الوطن لو ساقت اليهم المقادير الثروة رخيصةً مأمونة باكتشاف مثل هذه المناجم على مقربة منهم لينالوا ارباحها ويقتلوا الفقر بسلاحها

على انَّ هؤلاء الذين يرمون بلادنا بالفقر وينسبونها الى الجدب والقفر لو انصفوا لوجدوا انَّ الاقطار الخاضعة للدولة العليَّة قد خصَّها الله من هذا القبيل بما لا تحتاج معهُ الى المهاجرة الى الاراضي القاصية والطموح الى ثروة غريبة. وبيانًا لذلك قد احببنا ان نجمع في هذه الخلاصة ما يؤيد قولنا عمَّا اودعهُ الخالق في بطن بلادنا من المناجم والمعادن لعلَّ تعدادها يحمل ابناء الوطن على الغيرة في استخراج دفائنها

١ ﴿ الذهب ﴾ اوَّل ما تطالَ نحوهُ الاعناق ويطمح اليهِ بصر المرتادين الذهب فهل يا تُرى حُرمت منهُ بلادنا. أَجبنا انَّ نشرة المكتب التجاري الافرنسيّ في الاستانة في عددها الصادر في ٣١ آب من سنة ١٨٩٨ بحثت في هذا الامر فبيَّنت انَّ مناجم الذهب ليست نادرة في الولايات الشاهانيَّة. ثم تتبَّعت الآثار التاريخيَّة ونقلت ما كتبهُ في هذا الصدد قدماء المؤرخين والسيَّاح المحدثون فاثبتت انَّ قريبًا من ازمير منجمًا

ذهبًا وكذلك في بيتام في ولاية انقره وفي بلاد الجزيرة بجوار الموصل(١ . والقدماء لسان واحد في انَّ بلاد العرب تتضمَّن ذهبًا ابريزًا . وفي الاسفار المقدَّسة (٣ ملوك ف ١٠) انَّ ملكة سبأ اليمنيَّة قد اهدت سليمان ذهبًا كثيرًا جدًّا . وحتى يومنا هذا نجد في رحل الفرنج ما يؤيد ذلك . وفي الدردنيل ذاتها في استيره من متصرفيَّة بينا معدن من الذهب نالت شركة انكليزيَّة من الباب العالي الرخصة بتعدينهِ فباشرت العمل منذ ثلاث عشرة سنة برأس مال يبلغ ١٨٠٠٠٠٠ ليرة انكليزيَّة . وكذلك يوجد مناجم ذهب في سنجق نجده في جبل بلغار داغ . بل لم تخلُ سوريَّة من مناجم الذهب على ما ورد في الكتب القديمة (٢ لكنَّ آثارها قد درست فلم يُعرف مكانُها

٢ ﴿ الفضَّة ﴾ قد اشار الجيولوجيُّون الى عدَّة مناجم فضيَّة في الممالك الشاهانيَّة . منها منجم في سوريَّة قريبًا من مرعش لم يتولَّ احد الى يومنا تعدينهُ . وفي ولاية انقره معدن فضي استرخص قومٌ من الانكليز والالمان باستثمارهِ ولم يباشروا العمل حتى الآن . وقد جاء في تقارير طُبعت بالانكليزيَّة سنة ١٨٩١ و ١٨٩٥ انَّ في ولاية بروسه وفي طيربيولي قريبًا من طرابزون وفي إزمير بجوار ارضروم آثار فضيَّة تنبئ بوجود مناجم منها في هذه الامكنة . وكتب بعض رحَّالة الانكليز انَّهم وجدوا في اليمن معدنًا فضيًّا لا يسمح اهل البادية بتعدينهِ (٣ . ويؤخذ من جواب حديث لنظارة المناجم في الدولة العلية : انَّ المستخرج منذ ٣ سنوات من الفضة ١٤٩٤٢ كيلو غرامًا قيمتها ١,٢١٣,٨٠٤ فرنكات فضلًا عمَّا استُخرج من الذهب وهو يبلغ ٤٦ كيلو غرامًا قيمتها ٩١٨٤٧ فرنكًا

هذا ما يختصّ بالفضَّة الصرفة وفي البلاد المحروسة مناجم من الفضَّة المختلطة بالرصاص . منها ما ذكرهُ العلَّامة كوينه في كتابهِ « سوريَّة ولبنان وفلسطين » قال (ص ٢٨ و ١٥٣) انَّ في الجبل الاقرع الذي موقعهُ بين الاسكندرونة وانطاكية واللاذقيَّة حجارة من الرصاص الفضي تدلُّ على وجود منجم منها . وفي بقيَّة ولايات دولتنا العليَّة مناجم عديدة من الرصاص المخلوط بالفضَّة لو حاول اصحاب الجدّ والعمل جنى ارباحها لحصَّلوا منها مبالغ وافرة واكثرها في ولايات آطنه وآيدين وانقره وبروسه ودياربكر وقونية ومعمورة العزيز وسيواس وطرابزون ووان وفي متصرفيَّتي بينا وازميد وفي

١) راجع مقالة سكَّة بغداد (ص ٣٤١) ٢) راجع المجلَّة الشهريَّة النمسويَّة ع ١٠ من السنة ١٨٨٠ ص ١٦٣—١٦٥ ٣) راجع كتاب آسية تركيا لفيتال كوينه ج ٣ ص ٧٠٤—٨٤٨

جزائر رودس وساموس وامروز وساقز. وقد نالت بعض الشركات العثمانيَّة او الاجنبيَّة الرخصة بتعدين قسم من هذه المعادن الَّا انَّ اكثرها لا يزال مهملًا كمناجم آطنه ومناجم معمورة العزيزة وكلُّها غنيَّة بالمعدن وفي رصاصها كميَّة وافرة من الفضَّة. وقد قدَّر اخيرًا مهندسٌ روسيّ خبير بالمعادن اسمهُ تشيتشاتشف انَّ الفضَّة التي يمكن استخلاصها من معادن تركية تبلغ ٧٣٠٠٠٠ كيلوغرام في السنة. وهذه لعمري ثروة طائلة تغني بلادًا واسعة وجماهير غفيرة لو أُخرجت من ركائزها الى عالم التجارة

٣ ﴿ الرصاص ﴾ منهُ معدن في ولاية آطنه يستخرج منهُ سنويًّا ما يبلغ إرباحهُ نيفًا ومئة الف فرنك. هذا فضلًا عن الرصاص المختلط بالفضَّة الذي سبق ذكرهُ في الفصل السابق وكميَّتهُ وافرة جدًّا

٤ ﴿ النحاس ﴾ كثيرٌ في تركية منهُ معادن غنيَّة في ولايات بروسه ووان وقسطموني وبتليس وانقره وديار بكر وفي طرابزون ومتصرفيَّتي بيغا وازميد وفي جزائر ساقز ومدلي وساموس وفي جبل طورس. واكثر هذه المعادن ليس من يقوم بامرها الَّا معدن ارغانة في ولاية ديار بكر وقد وكلت دولتنا العليَّة الى مهندسين اوربيَّين اسمهما توبيني ودالِيجيو تعدين هذا المعدن على حسابها وهما يسعيان بتنظيف النحاس ثمَّ يرسلانهِ الى الاسكندرونة مع القوافل ليُنقل الى مدينة ليڤربول. ومعدَّل ما يُستخرج سنويًّا من هذا المعدن نحو ٨٠٠ طنّ يبلغ ثمنها ٨٠٠٠٠٠ فرنك. ولولا بُعد هذا المنجم عن البحر لكانت ارباحهُ ثلاثة اضعاف ذلك (راجع ص ٧٧١). وفي سوريَّة آثار مناجم النحاس في شبه جزيرة سينا. وقريبًا من حلب جبل يُدعى جبل النحاس لوجود هذا المعدن فيهِ ويزعم البعض أنهم استدلُّوا على وجود شيء منهُ في جبل الاقرع عند انطاكية

٥ ﴿ الحديد ﴾ في بلاد الشام ولبنان اكثر منهُ في سائر ولايات الدولة العليَّة. ولذلك ترى ذكرهُ في كل كتب الاقدمين من يونان ورومان وعرب. وكان الاهلون يستخرجون الحديد من معادنهِ وينقلونهُ الى بيروت ومنها الى بقيَّة البلاد. ومنهُ كميَّة وافرة في لواء طرابلس وفي بلاد حوران بقرب عجلون وفي جبل الاقرع. وكذلك جبال زيتون في ولاية حلب فانَّ فيها معدنين حديديين يُتَّخذ حديدهما لكل ادوات الفلاحة وللاسلحة. وفي مرعش ايضًا حديد جيّد. الَّا انَّ اجود حديد الشام حديد لبنان ترى منهُ كثيرًا في وادي نهر الكلب يصطنع منهُ اهل بيت شباب ادوات مختلفة ومنهُ

ايضاً مناجم حسنة في الكفير قريباً من حاصياً وفي جوار ميروبا. واكثر هذا الحديد لا ينتفع منهُ احد خوفاً من النفقات التي تلزم لتعدينهِ ولنقلهِ. ولا شكَّ انَّ شركة منتظمة تربح من القيام بهذا الامر ارباحاً عظيمة لو باشرتهُ على الطريقة الجارية بين المعدنين الاوربيين. لانَّ الحديد في اكثر هذه المعادن مختلط بعناصر أُخرى فيقتضي تجريدهُ منها

٦ ﴿ الزيبق ﴾ موجود خصوصاً في ولاية آيدين. ففي سنة ١٨٩٤ وُجد منهُ معدن في اوده مش فنال تاجران ارمنيان من ازمير الرخصة باستثمارهِ. وفي سنة ١٨٩٨ اكتُشف منهُ معدن آخر اهدتهُ الذات الشاهانيَّة لصاحب الدولة جواد بك من مستشاري الدولة. وادَّعى قومٌ انَّهم وجدوا زئبقاً في لبنان وهو خبر شاع مدَّةً ولم يقف احد من العلماء على صحَّتهِ

٧ ﴿ الفحم الحجري ﴾ هو اليوم احد كنوز العالم التجاري لولاهُ لما اغتنا اغلبُ اكتشافات العلماء فتيلًا. وما يُدفن منهُ في السنة لو جُمع لفاق اهرام مصر ارتفاعاً واشبه الجبالَ علوًّا. ولم يشأ الله ان يحرم بلادنا من منافعهِ الجمَّة. وقد وجد اهل البحث والمهندسون انَّ اكثر ولايات تركية تحتوي على مناجم فحميَّة نخصُّ منها بالذكر ولاية قسطموني فانَّ لها معدناً شهيراً في هرقلة على مسافة ١٥٠ كيلو متراً من الاستانة العليَّة. وهذا المعدن معروف منذ سنة ١٨٥٠ تولَّت حفرهُ شركة انكليزيَّة ثم صار الى ايدي شركة فرنساويَّة تهتمُّ اليوم بتعدينهِ وحكومتنا السنيَّة لا تستعمل غير هذا الفحم لمراكبها وهو ارخص من الفحم الانكليزي يباع الطن منهُ ٢١ فرنكاً اعني ستَّة فرنكات اقلَّ من الفحم الانكليزي ولا يُنكر مع ذلك ان الفحم الانكليزي اجود وقد بلغ ما يستخرج منهُ في السنة نحو ١٥٠٠٠٠ طنٍّ. ومن الولايات الغنيَّة بالفحم ولاية آيدين فيها مناجم فحم حجريّ عديدة يستثمر واحداً منها انكليزيَّان اسمهما مالك اندرس وفُوربس في سوكه ويبلغ ما يستخرجان من الفحم في السنة ٥٠٠٠٠ طنٍّ. وقد نال افرنسيَّان امتيازاً بتعدين منجمين آخرين في كاناغاش وطربلي في الولاية ذاتها. وانعقدت شركات عثمانيَّة لاستخراج الفحم من كاناجاق وبرغمه وميلاس وتازلي ومنتشا. وفي ولاية بغداد منجم شهير للفحم في جبل حمرين على مسافة ٩٠ كيلومتراً من دار السلام في شماليها الشرقي. وفي ولاية الموصل قريباً من ضفَّة الفرات منجم

فحمي شهير لم يمسَّهُ احد حتى الآن وكذلك في ولاية تونية ومتصرفية الزور. وقد اكتشفت آخرًا شركة سكّة الاناضول الإلمانيّة مناجم فحمية في ولاية انقره ستتولى حفرها عمّا قليل. وفي سوريَّة لا يخلو الفحم الحجري لاسيَّا في ايلس قريبًا من خليج الاسكندرونة وفي بادية حلب على جنوبها الشرقيّ وفي جهات انطاكية وفي حوران. اما لبنان ففيه منجم فحمي واسع شرقيّ صيداء يبتدئ عند قرية المراح ويمتدّ الى عين زحلتا ويتَّصل بشمرة وبرته مارًّا بجبل نيحا. وكذلك في حيطوره منجم آخر منحت الدولة امتيازهُ الى مدَّة ٩٩ سنة لصاحب السعادة الموكيز موسى دي فريج. وكذلك في قضاء المتن عند قرنايل وفي الروج وترشيش. وفي وادي نهر بيروت مناجم أُخرى من الفحم الحجريّ استخرج منها الانكليز كيَّة وافرة من الفحم على عهد محمَّد علي وابراهيم باشا. فترى انَّ الصناعات والفنون اذا بلغت في بلادنا ما بلغتهُ في اوربَّة واميركة سوف يلقى ارباب الهمَّة مساعدًا كبيرًا لترويج مساعيهم في الفحم الحجري المكتون في اعماق الارض

٨ ﴿ البترول ﴾ هو ايضًا احد اسباب الثروة في زماننا. وقد كتب الله لبلادنا الشرقيَّة منهُ قسمًا حسنًا لم يُنتفع باكثره حتى الآن كناجم ولايات وان وارضروم وبتليس. وفي ولاية بغداد منابع غزيرة توجد في الحلَّة عند الفرات وهي تصبُّ في احواض واسعة كيَّة كبرى من النفط والبترول والغاز تُنقل الى دار السلام. وكذلك في ولاية الموصل منابع أُخرى من البترول في شرغتش على ضفَّة دجلة وفي توز قورملي في سنجق كركوك. وقد وصف في المشرق (٣: ١١٦) حضرة الاب الفاضل ادّي ابرهيما صليبا منبع نفط بابا كركور الذي يعتاض بهِ اهل تلك البلاد عن غاز البترول ألا انَّ هذه المناجم لم يُعتنَ بامرها وزيتها لا يُصفَّى

٩ ﴿ القار ﴾ كثير في الشام وفلسطين تجد منهُ عيونًا نابعة في قضاء صيداء قريبًا من تاجورة وفي قضاء صور في عين ابل وايديب وحُرِيقة. وفي لواء عكَّة وفي ولاية حلب ليس بعيدًا من انطاكية. وكذلك لا يجهل احد انَّ القار كثيرًا ما يطفو فوق مياه بحر لوط فتقذفهُ الامواج الى الساحل. وعلى شواطئ هذا البحر اطباق من القار وجدها الرحَّالة ترسترام في عين ترابه وفي عين جدي. وقريبًا من الموصل قيَّارة شهيرة وصفها ابن بطوطة في رحلته (راجع مجاني الادب ١: ١٦٧). واشهر من هذه المنابع كلها آبار حاصبيَّا وهي كثيرة غزيرة المادَّة واغلبها في رأس النبع قريبًا من

الحاصباني فينظَّف محصولها في مياه الاردن ثمَّ يُنقل الى صيداء او بيروت ويُباع في المانية والنمسا منهُ في كل سنة بنحو ٣٠٠٠٠٠ فرنك

١٠ ﴿ الكبريت ﴾ يحتوي منهُ بحر لوط كميَّة وافرة ولو بحثت شركة عن طريقة استخراجهِ لحصلت على ارباح طيّبة · ويوجد مناجم كبريتيَّة في ولايتي آيدين وازمير

١١ ﴿ البروم والكلور ﴾ يمكن استخراجهما ايضاً من بحيرة لوط

١٢ ﴿ الخروم ﴾ من المعادن الثمينة التي يتنازعها التجار الخروم (chrôme)· ومعادنهُ كثيرة في الدولة العليَّة في سالونيك وفي ولايات ازمير وقونية وبروسة وآذنه وفي متصرفيَّة بينا · واكثر هذه المناجم مكتشفة حديثاً تستثمرها شركات انكليزيَّة · وقد بلغ في السنين الاخيرة ما استُخرج من هذه المعادن نحو ٢٥٤٥٠ طناً حصَّل منها اصحاب امتيازها نحو ١٣٥٠٠٠٠ فرنك · وثلاثة ارباع صادراته تُباع في المانية · وفي بلاد الشام مناجم من الخروم تُرى في قضاء اللاذقيَّة ومنها ايضاً في نواحي اسكندرونة وحلب وقد تولَّى امرها قوم من الانكليز فربحوا ارباحاً طائلة

١٣ ﴿ التوتيا ﴾ معادن التوتيا في بارتشين من ولاية بروسه حصل احد العثمانيين على رخصة تعدينها الى مدَّة ٩٩ سنة · ومنها ايضاً في جزيرة ساتز يتولَّى استخراج معدنها شركة دوليَّة · وكذلك يوجد بعض معادن توتيا في جزيرة ساموس تشكَّلت لجنة لتعدينها جعلت رأس مالها ٢٠٠٠٠٠ فرنك

١٤ ﴿ النيكل ﴾ جاء في كتاب العالم الافرنسي ڤيتال كوينة « سوريَّة ولبنان وفلسطين » (ص ٢٨ و١٥٣) ان جبل الاقرع المجاور لانطاكية يتضمَّن شيئاً من هذا المعدن

١٥ ﴿ الاثمد ﴾ وهو حجر الكحل · معادنهُ كثيرة منها في سلانيك ومنها في جزائر ساتز ومدلّي وساموس وفي ولايات انقره وبروسه وقسطموني · وبعض هذه المعادن مهملة · وغيرها قد اخذت الشركات الاجنبيَّة تستحصل فوائدها · ويستخرج من معادن آيدين وحدها نحو ٨٠٠٠ طنّ من الاثمد في السنة · وتصدر ازمير الى انكلترة سنويًّا من هذا المعدن ما يساوي ١٥٠٠٠٠ فرنك · وفي اسكندرونة وانطاكية معادن من الاثمد لم يُعرف قدرها · والاثمد في الغالب مختلط بالكبريت والرصاص فلا بدَّ من استخلاصهِ منها

١٦ ﴿ البورق ﴾ اول من اكتشف معادنهُ العلّامة الفرنسيّ ديمازور (Desmazures) سنة ١٨٦٦ في كاسي من ولاية بروسه. وقد وُجد منهُ بعد ذلك معادن أُخرى في دمير كابو وسلطان تشاير عدّنها قوم من الفرنسويين من ليون تحت ادارة المهندسين برادل وڤيال (M M. Pradel et Vial) فكانوا يستخرجون في كلّ سنة أكثر من ١٠٠٠٠ طنّ من البورق. وهذه الشركة قد امتزجت بالشركة الانكليزيّة التي تعدّن معادن كاسي ويوجد معادن أُخرى من البورق لم تعدَّن حتى الآن منها في ولاية الاستانة العليَّة وفي ولايتي وان وارضروم وفي شمالي سوريَّة. ويلحق بالبورق ملح البارود او النطرون منهُ معدن كبير في ولاية قونيه

١٧ ﴿ الزرنيخ ﴾ يُعرف منهُ خمسة مناجم في بلاد الدولة اقدمها منجم سلانيك لكنهُ الآن مهمل. وفي سنة ١٨٩٥ اكتشف رجلان من اعيان ازمير على منجم آخر في ولاية آيدين في مرسلّي ودليلار فنالا الرخصة الرسميَّة بتعدينها لتسع وتسعين سنة. وفي سنة ١٨٦٦ نال فؤاد باشا من وزراء الذات الشاهانيَّة معدنًا من الزرنيخ وُجد في غولباشي في ولاية قونية فعهد امرهُ الى بعض العمَّال وفي الولاية ذاتها منجم آخر منهُ في بوردور. ويوجد الزرنيخ ايضًا في ولاية الموصل وفي انحاء سيواس

١٨ ﴿ السنباذج ﴾ من المعادن المرغوبة في تركيَّة السنباذج (émeri) يتنازع في اقتنائهِ الانكليز والاميركيون والالمان يشترون الطنَّ منهُ بمئة فرنك الى ١٢٥ فرنكًا وهم يستعملونهُ خاصةً في صقل المعادن وجلاء الحجارة الكريمة. ووجود السنباذج على الغالب في ولاية آيدين تستخرج منهُ شركات فرنسويَّة وانكليزيَّة ونمسويَّة اكثر من ١٠٠٠ طن. وفي ولاية بروسه ايضًا معادن منهُ لم يُمنَ بها احد

١٩ ﴿ الشبّ ﴾ يوجد منهُ في ولاية انقره وفي جوار « قرا حصار شرقي »

٢٠ ﴿ الكهربا ﴾ في قضاء صيداء منها شيء كثير على منعطف جبل نيحا بين برتة وحيطوره واكثرها اسود اللون ومنها اصفر ايضًا. ويُذكر عن الفينيقيين انَّهم كانوا يعرفون الكهربا. ويستخرجونها من بلادهم

٢١ ﴿ الاميانت ﴾ وهو المدن المعروف اليوم بحجر الفتيلة الذي لا تعمل فيهِ النار يُعرف منهُ منجمان الواحد قريب من بروسه نال امتيازهُ عزّت افندي من وجوه مدينة اوشاك فتنازل عن حقوقهِ لشركة انكليزيَّة تستثمرهُ. والثاني في ناحية باناز في

بلماردداغ لم يستفد منهُ احد. وقد وُجد منهُ آثراً في ولاية وان وفي حكاري ومكس

٢٢ ﴿ الطباشير ﴾ كثير في سوريَّة لاسيَّما بلاد الجليل في الناصرة والكرمل وفي جهات نابلس وفي انحاء انطاكية

٢٣ ﴿ الرخام ﴾ يقرب رخام بلاد الدولة العليَّة من رخام ايطالية واليونان في حسنهِ واشكالهِ ومقالعهُ في كل الولايات الشاهانية وان قصرنا النظر الى سوريَّة وحدها وجدنا فيها كل اشكال الرخام من احمر ووردي واسود وازرق واصفر وسماقي ومحبَّب (granit) ومقالعهُ الشهيرة في نواحي دمشق وحلب وفي جبل جرماق في قضاء صفد

٢٤ ﴿ الحجارة الكريمة ﴾ متعدّدة في البلاد المحروسة كفانا دليلاً على ذلك ما ورد في الاسفار المنزلة عن اصنافها الثامنة في الشام وفلسطين كالياقوت والماس والعقيق والزمرد واللؤلؤ واللازورد واليشب امَّا اليوم فلا يلقى المفتشون الَّا بعضاً منها اخصُّها البلّور (ومنهُ في لبنان) واليشب والياقوت. ويوجد الفيروز في جزيرة سينا في مرارة حاول الانكليزي مكدنلد تعدينهُ

٢٥ ﴿ المغنيسيا ﴾ الممالك الشاهانية غنية بهذا المعدن. منهُ كثير في ولايات ازمير وسلانيك وطرابزون وانقره وقونية وسيواس وبروسه. تبلغ ايراداتها نحو ٢٠٠٠٠٠ فرنك في السنة

٢٦ ﴿ الملح ﴾ سواء كان معدنيًّا او غير معدني من اعظم موارد الربح في بلاد الدولة السنيَّة. يستخرج منهُ في السنة اكثر من ٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠ كيلو تستثمرهُ ادارة الدين العمومي فتربح منهُ عشرين مليونًا من الفرنكات. على انَّ في بلادنا مملاح عديدة ليس من يقوم بتعدينها فلو انتُفع بها لكان محصول الملح ضعف ما تقدَّم ذكرهُ (راجع المشرق ٥: ٦٠١)

هذا نظر اجمالي في معادن بلاد الحكومة السنيَّة ولا شكَّ انهُ فاتنا ذكر كثير منها. ولكن في ما اوردنا كفاية ليعرف القرَّاء العثمانيُّون انَّ مواطنهم تجاري اغنى الدول في معادنها لا ينقص الَّا اصحاب همَّة واقدام يجدُّون الارض فيستخرجون من دفائنها ما اودعهُ الله فيها من الكنوز الثمينة. ولنا الأمل الوطيد انهُ اذا مُدَّت الخطوط الحديديَّة المنوي بسطها يتسارع ذوو الثروة الى تعدين هذه المعادن والبحث عن غيرها ممَّا لم يُطَّلع بعد عليهِ. ولا غرو انَّ دولتنا العلية تنشط رعاياها على ذلك لعلمها

بالوراء نحوتهم من الفوائد الجمّة والنافع المالية . حقق الله الآمال فانهُ على كلّ شيء قدير

عفوٌ في سخاء

بقلم الاب شرل ابيلا اليسوعيّ

١

. . . .

واذ كانت تتململ على فراشها ونار الحمّى تضطرم في احشائها دخل عليها رجلٌ كأنّ الارض انشقّت فابرزتهُ من المغاوز الجهنميّة قد فار فائرهُ وهاج هائجهُ . فحملق اليها بعينين تتوقّدان نارًا . فعرفت حنّة أنهُ مالك بيتها . امّا هو فابتدرها بالسبّ والشتيمة قائلًا :

— الى م أطيل اناتي عليكِ يا شقيّة وحتّام تهتضمين حقوق الناس ؟

فاجابت : سكّن الجأش مولاي . ألا تراني طريحة الفراش قد امضّتني الادواء ؟

— كفاكِ تروغين روغان الثعبان . لا تتوهّمي انّ تمارُضكِ يجديكِ نفعًا . عليكِ بدفع كراء البيت والّا فاني طاردكِ لا محالة

— مهلًا الى المساء علّ ولدي يوسف يعود من بيروت بدراهم

— حسبكِ تسويف الى الآن . فلقد طالما وعدتِ وما انجزتِ

— ولكن . . .

— ادفعي ما عليكِ والّا فأرض الله واسعة

— رحماك سيدي انّ الشمس مالت الى الغروب . أفأبيت في القفر ؟

— بيتي في جهنّم واذهبي مع الابالسة

قال ابراهيم هذا واخذ يركلها برجلهِ حتى اداها الى خارج البيت فوقعت على جانب الطريق مغشيًّا عليها من الألم . وانصرف ذلك الرجل القاسي وهو يبرق ويرعد على الارملة التعيسة

٢

وكان خليل بعل حنّة اشتهر بفضلهِ وتقواه في قرية ح . توفي من بضع سنوات

ولم يترك لزوجته الّا يسيرًا من المال. فاعتصمت بجبل الصبر وجعلت تكدّ وتتعب جادَّةً وراء ما يقوم بمعيشة ولدها صارفةً عنايتها في تخريجهِ في الادب والتقوى. فشبَّ يوسف ونشأ على المبادئ القويمة تنمو فضيلته مع نمو جسمهِ حتى شرع في معاضدة والدتهِ يساندها في اتعابها ويخفّف عن عاتقها ثقل العناء.

على انَّ الدهر لم يكن ليتغافل عن انسان فما كاد يفترّ لها ثغرًا حتى غادرها كالحَ الوجه. فانهُ ما بلغ يوسف السابعة عشرة من عمرهِ الّا واعترى امهُ مرض عُضال الزمها الفراش واقعدها عن العمل. فلم يبقَ الّا ولدها ليقوم بأودها فكان ينحدر كل صباح الى بيروت فيشتغل تحت ادارة نجّار ويعود المساء حاملًا لامهِ ما استفضلهُ من الرزق ولذلك تجد تلك المرأة في ضيق ليس يبدها ما بهِ تسدّ فم ذاك اللئيم

٣

وكان الليل قد نشر اجنحته فافاقت حنَّة من غشيانها وادارت الطرف حولها فاذا هي في بيتها وابنها يوسف جاثٍ امامها تتنازع فؤاده الاحزان وعيناه مغرورقتان بالدموع. فصاحت: "بُنيَّ بنيَّ". فاكبَّ على رأسها وقبَّلها قائلًا: "ما اعتب هذه الحال منك يا اماه". فقالت: "جور اللئام يا بنيَّ". واخبرتهُ بالقصَّة. فتضرَّم عندئذٍ قلب يوسف غيظًا وصاح: "وحق حبّك لأهدرنَّ دمهُ". وعمد الى مدية واراد الخروج. فردعتهُ منادية:

— عُد ولدي. لا يجدر بالمسيحيّ الانتقام من احدٍ

— أنا حُرمَ الثأرُ من الناس. وما هذا الّا ضار تُدكيه منَ الجلاميد

— ادرو بنيَّ. ليس الوقت للانتقام الساعة. كفاني ما قاسيتهُ من هذا الرجل. فانهُ اجهز عليَّ وقرّب مني ساعة الحتف... او اه اقتربيد وبالي وبالّا بان اراك تتخطَّى سنَّة الله حاقدًا منتقمًا... اذهب ولدي وأتني بالاب مبارك فاني اشعر بالروح مني قد قاربت الاجل

وعقيب تردّدها الزاد الاخير زاد الابرار التفتت الى يوسف واوصتهُ بان يتشبَّث باهداب تقوى الله ومحبتهِ ثم استحلفتهُ ان يعفو عمَّن ادنى اليها وقت المات. وكانت اذ ذاك صورة المصلوب بين يديها فقالت لابنها مشيرة اليها: احفظها بعد موتي ذخيرةً من امّك واذا ما أُوغِرَ صدرك حنقًا على عدوك فاذكر كلام المصلوب القائل: "ابتِ اغفر لهم لأنهم لا يدرون ما يعملون". ثم قضت نحبها متغنّة باسم يسوع ومريم

٤

مضت على تلك الوفاة عشر سنوات كان يوسف في اثنائها قد حذق حرفة التجارة ونأى عن البلاد السوريَّة واتى عاصمة مصر حيث جمع من المال قسماً ليس بيسير

على انَّ المحن اذا ما دهمت قلب امرئ مسترسل الى ارادة الله من شأنها ان توطِّد دعائم الفضيلة. وذاك يوسفنا كان مع ما هو عليه من خفض العيش مثابراً على القيام بواجباتهِ الدينيَّة محافظاً على وصية امهِ فامسك الله بيده ووفقهُ الى ما يؤول الى سعده

فبينا كان عشية يوم في اواخر آب سائراً على طريق الجزيرة بالقرب من نهر النيل ترويحاً للنفس من سهام اعماله اذ رأى رجلاً على الشاطئ قد طوق عنقه بطرف حبل وربط حجراً ثقيلاً بالطرف الآخر وهو يتأهب للوثوب الى النهر والنيل اذ ذاك في اوان فيضانه. ألا انَّ يوسف لم يلبث ان عرف كنه مقاصده الوخيمة وما كان الَّا كلمح البصر حتى هجم عليه وجرَّهُ قهراً الى جانب الطريق بعيداً عن هوة الهلاك. فتفرَّس فيه فاذا هو رجل يناهزُ الاربعين ألَّا انَّ انياب الضرِّ قد خلَّفت على ملامحه آثارها فهو مهزول شاحب اللون عليه امارات اليأس. ولمَّا جذبهُ اليه يوسف كانت اخذتهُ دهشة شديدة عقلت لسانهُ عن الكلام ولكن عادَ من دهشته اذ حدَّق فيه البصر منقذه فصاح: «دعني يا هذا فلا بُدَّ ان اسلّم روحي الى الهلاك فيغنني معها عيشُ نسجتهُ النكبات». واسرعَ عائداً الى النهر. فانقضَّ عليه يوسف بيده والزمهُ مكانهُ قائلاً:

— ارعوِ يا اخي. ألا تعلم انَّ نوائب الدنيا لا يعقبها في الآخرة لاهل اليأس ألَّا ما هو شرٌّ منها؟ ألا توهب ناراً لن يُطفأ سعيرها؟ ثق بالله فانَّ رحمتهُ عظيمة

— ليس من سبيل لرحمة الله الى من لم يرحم عباده. فاني طالما...

— انَّ التوبة تُمهّد لرحمة الربِّ سبيلاً

وجعل يوسف يلاطفهُ ويعظهُ حتى لان قلبهُ فانقاد الى نصائحه ورضي بان يؤوب معهُ الى المدينة. وبينا هما سائران قصَّ الرجل على يوسف قصته فعلمَ انهُ لبنانيُّ المنشأ برح الوطن طمعاً بالاصفر الرنّان لكنهُ حبطت مساعيه فكانت الدراهم تذهب عينها منهُ يوماً فيوماً حتى صفرت راحتهُ ولم يبقَ لهُ ما يسدُّ به رمق اطفاله فآل به ذلك الى ما آل. فسألهُ يوسف. ومن اي ناحية من لبنان انت؟

— فاجابه: من قرية ح.

— أفلا تعرف احدًا من مواطنيك يعينك على الفقر؟

— سمعت انَّ نجَّارًا من ح. يُدعى يوسف قد اتى مصر. وهو مُكثرٌ مُوسر. ويُمكنهُ الاخذ بيدي. غير اني لا يسعني التماس عضده.

— ولِمَ؟

— قد اسأتُ المعاملة الى امه

فما سمع ذلك يوسف ألَّا شعر بلهيب نار يسعر في قلبه وصاح: « ويلك يا قاتل امي » وهمَّ بقتله خنقًا...

ولكنَّ يدًا خفيَّة اوقفت باعه وكأنَّهُ سمع صوتًا سريًّا يردّد عليه القول: « ابتِ اغفر لهم لأنهم لا يدرون ما يعملون »... فاطرق الى الارض هنيهة ثم قال: « اني عفوت عنك كما عفت امي »

قال هذا وابرز لهُ ريالًا من جيبه قائلًا: « خذ هذا وسدّ به رمقك وعد اليَّ غدًا فاتكفَّل بامرك »

واذ ذاك شاهدت امّ يوسف في نعيم الابرار ملاكًا يخلّد في سفر الله جزاء جود المحسن اجرًا وجزاء عفوه عن عدوّه اجرين

سلوان الاسرى في ايوان كسرى

لحضرة المحقّق والعلّامة المدقق الاب انستاس الكرملي (تابع لما سبق)

(وصف الايوان) وقد وصف ما بقي من هذا الايوان جماعة من روّاد وسيَّاح الافرنج في القرن الثامن عشر منهم بيباترو دلَّا فالّا الذ ذكرهُ قال ما معرَّبهُ: « كان هذا القصر في موطن يُوافق احسن الموافقة لقبول الملوك الاشكانيين الذين كانوا يجيئون من تلك الاصقاع. فاعلم اذن يا هذا ان ايوان كسرى هو الايوان الذي سمَّاهُ بعض الكتبة زورًا « طاق سلمان پاك » (١ لمجاورة قبر هـذا الوليّ لذلك الايوان الشهير

١) وفي الاصل سليمان بك Soliman - bey وهو خطأ. ومعنى سلمان پاك: سلمان الطاهر

وهو بناء من الآجرّ مشدودٌ بجصٍ حسن وجدرانهُ ثخينة سامكة وصدرهُ الناظر الى الشرق مزخرف اي زخرف من اعلاهُ الى اسفلهِ بنوافذ وأُطُر وكناديج وسهارات وكوّى ورواشن متقنة الصنع متّخذة من هذا اللَّبِن المشويّ بالنار وسمك الحائط ١٠٤ اقدام وكان يوجد في ذلك القصر على ما تبيَّن لي ثلاثة اسواق تشبه اسواق كنائسنا ولم يبقَ منها الّا صحن الوسط وهو باقٍ الى هذا اليوم وطولهُ ٦٢ قدماً وعرضهُ ٣٣ قدماً وقد قستُ كل ذلك بتدقيق ليس عليه من مزيد وان كابدتُ لهذه الغاية عرق القربة لوعورة الارض وخشونتها. وليس عند المدخل باب عظيم في الوسط كما يُرى في مثل هذه الابنية لكن صحن الوسط مع ما فيه من العلو والعرض مفتوح من قُبل بحيث الواقف في الخارج يرى كل شيء من اسفل الجدران الى أعلى العقد وهذا ما حدا ساكني ذلك القطر الى ان يسمّوهُ باسم «الطاق» لان انفتاح العقد العظيم عند صدر البناء يشبه طاقاً عظيماً. ويُرى في داخل البناء عند اقصاهُ على الوراء وفي الوسط عينه بُوَيْب يُناظرهُ على هيئة طاق ويجاورهُ بويبان يشبهانهِ وهما مفتوحان في الجانبين للدخول الى الجناحين وهما الآن خربان وقد خرب ايضاً جانب من الطاق ومن الحائط الذي في الوراء ولا حاجة لي في ان اصفهُ لك بما ان مصوِّري قد رسم تمام الرسم صورتهُ كانك تراهُ عن بُعدٍ

«وبقرب هذا البناء اراني البعض محلاً كلُّهُ انقاض ركام ويدّعي اليهود انهُ كان جُبَّ الأسد او محلاً خصوصياً لحبس السباع وانهُ المحلّ الذي أُلقي فيه دانيال. واظنُّ هذا من الحقيقة على جرف هارٍ. لاننا نعلم كلّ العلم من مؤرخي بلاد فارس ان العاصمة طيسفون كانت في هذا الصُقع وكما انّها كانت عظيمة باذخة زاهية فلا يتعجبنَّ المرء اذا رأى كثيّة من البنيان اصبحت في خبر كان ولم يبقَ منها الّا اخربة هائلة المظم تدل على انّها كانت في سابق الزمان عظيمة بدون ان يقدر ان يتحقق ما كانت عليه اصولها في غابر الاوان. ثم بعد ذلك سرنا الى الامام لنشاهد مزار سلمان باك (١

«وهذا المزار المبنيّ من الآجرّ القديم شيّدهُ المسلمون لهذا الامام وهو لا يخلو من تأنّقٍ وان صغيراً. وبعد ان تجولنا في تلك السهول مدّةً من الزمان رأينا اخربة عديدة

بالفارسية وهو سلمان الفارسيّ الصحابي المشهور وكان قد تولّى الامر على المدائن وفيها توفّي ودفن سنة ٣٦ هـ (٦٥٧ م) في اواخر خلافة عثمان

١) راجع الحاشية السابقة

متبعثرة ومتفرّقة شذر مذر وكلها من موادّ تشبه موادّ بابل اي من لَبِنٍ مشدودٍ بقصب كأنهُ التام الخشن ورأينا ايضاً اخربة اسوار المدينة ويظهر منها انّها كانت عظيمة غاية العظم

« ولهذه الجدران بعض آثار تكاد تندرس لانها اليوم عبارة عن جُثَى يكثر فيها الابارق ويبلغ محيطها مسافة عظيمة من هذه الاغوار سواء كان ذلك من جهة النهر التي كنّا فيها وهي ضفّتهُ الشرقيَّة وسواء من الجهة المقابلة بحيث ان النهر كان يجري متسلسلاً في وسط الحاضرة او قُل في وسط المدينتين المتّحدتين كما أُلمِعُ اليه فُوَيق هذا. وان كانت طائفة من ساكني هذا الصُقع (وهم على ما يظهر لي أَغرٌ واجهل من ان اعتمدهم) يُحاولون ان يدفعوني الى ان اقول بان دجلة كان يجري في عقيق آخر في ذلك العهد العهيد

« ومهما كانت عليه تلك الماضية اوانئذٍ فمن المثبت أنّها كانت في نهاية العظم وَوراء ما هو مألوف. وهذا ما يمكن ان يحققهُ كل امرئ من موقعها ومن بقايا اطلالها وانقاضها. ووجدنا على جدَّة النهر جداراً آخر مبنيَّة من طاباق حسن مُحرَق في الاتون وقد شُدَّت بالقار عوضاً من النُّورة ويظن بعض الكتبة انها بقايا ابنية سميرام الملكة الشهيرة فاقتطعت كجاري عادتي شيئاً من تلك القطع التي كان القيرُ ملصقاً بها واودعتها علبة بعد ان لففتها بالقطن كانها علق نفيس فأضحك هذا الامر غير مرّةٍ جماعةً من الاغوار ممّن كانوا يقطنون تلك الربوع ولم يستطيعوا ان يُوزِّلوا اسباب تطلّاني الى معرفة تلك الآثار وبعد ان صمّت آذاننا لكثرة ما سُمِعت اصداؤها من قوارصهم ولواذعهم اتينا سفينتنا ثم صعدنا الى بغداد. وكان اصحابنا يجرُّوننا جرًّا بالحبل شاقّين صدر الماء شقًّا » . اه (١

وبعد ما يربي على قرن زار تلك الانقاض أدوار إيڤ (Edouard Yves) فقال: « لا يعرف الترك ولا العرب شيئاً من امر هذه الاخربة وهم يجهلون اذا كانت تلك الآثار تدل على هيكل أو قصر. وقد قال لنا الاسقف انهُ كان هناك في سابق الزمن هيكل على

(١ راجع Pietro Della Valle : *Voyages*, 2°. p. *Paris*. 1661 in-4, pag. 64 — 68.)

اسم الشمس وكان طول صدر البناء الباقي من ذلك الايوان في عهد هذا الانكليزي ٣٠٠ قدم وكان عرض طاق الوسط ٨٥ قدماً في ٣٠٠ ارتفاعاً وكان طول الساباط الممتود من الشرق الى الغرب ١٥٠ قدماً وتُشبه الرواشن التي تُرى على الصدر الذي ينظر اليك عند الدنوّ منهُ رواشن الاديرة القديمة في بلاد الافرنج. وقد قال بكنغام في كتابه المترجم بـ «Travels in Mesopotamia» (المجلد ٢ ص ٥١٦) ما معرَّبهُ: «ان هذا البناء يظهر لمن يراهُ عن بُعدٍ مظهر دير وَسْتَمِنْسْتَر ما خلا صوامع نواقيسهِ القوطيَّة. امَّا الصدر الغربي فقد وقعت عليهِ ايدي الحدثان فعبثت بهِ ويوجد تحت الرواق اعشاش حمام وعقعق وعصافير وطيور أُخرى. ويمكن لكل امرئ ان يأوي اليهِ قيد تكبُّد الشمس للفلك ومن الجانب الجنوبي يُرى بين هذا البناء ودجلة قبر ومسجد أَبي حُذَيفة ابن اليمان (١ ولعلَّها هي الاخربة المسمَّاة في رسم الكولونل جِسْني (Chesney) باسم «Mushoffer» وعلى الضفَّة المقابلة لهُ يوجد مطحنة بارود «اسمها باروت قابي» (٢ وقد أُنشئت لباشا بغداد

«وفي جوار طاق كسرى تمتدُّ الاخربة الى عدَّة اميال ويكثر فيها الآجرّ والملاط أَيَّة كثرة حتى انهُ لا يمكن ان يخامر الشكُّ احدًا في انَّها أطلال دارسة لمدينة كانت قائمة هناك وان لم يبقَ منها جدار شاخص وممَّا يؤخذ من الافادات التي افادنا بها الرواة عن امتداد وسعة طيسفون نستنتج دليلًا بيّنًا يدفعنا الى الظنّ انَّ ثمَّ كان موقع تلك الحاضرة الزاهية التي اشتدَّ ساعدها في سالف الزمان

«وقد علم ايف من رأي مبثوث في القُطر ان طاق كسرى ليس من بناء ملكٍ وطني من فارسي او اشكانيّ او تركيّ (كذا) بل ان الذي شاد ذلك الصرح ملك من الافرنج قهر تلك البلاد. فاخذ التخرُّص ايفًا ودفعهُ الى القول بانَّ باني طاق كسرى هو اسكندر المقدوني او احد نوَّابهِ. وذهب آخر الى انهُ من المناسب للصواب ان يُقال ان ذلك البناء شادهُ واحدٌ من الملوك الرومانيين ولعلهُ طرايانس لما يُرى فيهِ من طرز البناء الروماني. وممَّا يؤيّد هذا الراي ان اللفظة «كسرى» تدلُّ في الظاهر (على راي ادوار

---

١) وفي الاصل قد كُتب هذا الاسم بهذه الصورة: Haud Effey (؟) وهي خطأ

٢) وفي الاصل Purite Kaune (؟) وهو غلط

إيف) على معنى «قيصر» اكثر مما تدلّ على معنى «خُسْرُو» (كذا ولا يخفى ما في هذا الكلام من الجراءة والتهوُّر والخلط والخبط)

«ويُعلّق اهل البادية بهذا الصرح خرافاتٍ واحاديث موضوعة مأثورة عن السلف كما هو دأبهم وديدنهم في مثل الابنية التي يجهلون اصلها. من ذلك أنهم يقولون ان في طاق كسرى كان مقام الملك كسرى انوشروان وكان قد امر باتّخاذ سلسلة تُدَلَّى في الطريق ثم خرق لها في قصرهِ خرقاً يوصل السلسلة الى مجلسهِ وقت خلوتهِ وجعل براس تلك السلسلة جرساً. حتى اذا جاء المتظلِّم ووقف وراء القصر من خارج حرَّك السلسلة فيعلم بهِ الملك فيتقدّم باحضارهِ وازالة ظلامتهِ (١ فجاء ذات يوم حمار وحرَّك السلسلة وتظلَّم بلسان اعجم من سوء تصرُّف سيدهِ فامر الملك باحضار الرجل وعاقبهُ عقاباً شديداً. — ومن ذلك ايضاً انهُ جاء يوماً انوشروانَ ثعبانٌ واهدى الملك حبة بطيخ (ومن هذه الحبَّة جاء بطيخ الارض كلها) ثم حبَّة ريحان ومنهُ اسمهُ بالفارسيَّة شاهسفرم او شاهسبرم اي الريحان الملكي

«وعلى بعد ميل ونصف من شرقي الرواق جثوة من الانقاض كأنها مسنّاة قديمة وهي مربَّعة واوجهها تُناظر الشرق والغرب والشمال. ودجلة يغمر الجهة الرابعة وسمك هذا العرم ٤٠ قدماً في ٣٠ ثخناً وكل جانبٍ من جوانبها طولهُ ميل واحد تقريباً. ونظن ان هذه الاطلال كانت في سابق الزمان قلعة منيعة تحصن المدينة العظمى (طيسفون) وفي الانقاض المجاورة تُرى مسكوكات قديمة كثيرة (٢» اهـ

وكانت زيارة ايف لطاق كسرى ونواحيهِ في ٢٨ ايّار سنة ١٧٥٨. اما نيابُهر فقد قدم العراق لكنهُ لم يزر هذه الاخربة. امَّا الرحّالة بوشان (Beauchamp) فقد مرَّ بهِ في ك ٢ سنة ١٧٨١ ولم يتكلم عنهُ الَّا النزر القليل ويسميهِ طاكست او عرش كاست وهذه حروفهُ: «the - Cascet ou trône de Cascet» وقال بخصوص هذه الكلمة «انها تركية الاصل وهي في هذه اللغة مركبة من طاق وكسرة - El-Tak Kesere» ومعناها «الطاق المكسور» (كذا) ويؤخذ من الكلام المأثور عن السلف

١) قلت: يروى هذا عن انصاف هرمز لرعيتهِ (راجع مجاني الادب ١: ١٢١)

٢) راجع .Ed. Yves.: *Voyage from England to India. London 1773*)
in - 4°. p. 290 etc.

ان هذا الطاق كُسر عند زلزلة حدثت في اول الاسلام. اه (١

وبعد سنين قلائل تفقَّد تلك الاخربة اوليفيه (Olivier) وكتب عنها ما يأتي: «اذا نارح بغداد وتتبَّع ضفَّة دجلة اليسرى انحداراً تجوز بعد مسير ثلاث ساعات ديالى وهو نُهَير يكبر نهر المرن (في فرنسة) واذا واصلنا السَّير مدة ساعتين وصف فصل اخربة طيسفون وفيها ذلك البناء المعظم المعروف باسم «طاق كسرى» او «ايوان كسرى» وقد جاء وصفهُ في مجلة العلماء ورسمهُ في كتاب رحلة ايف. وهذا الصرح مبني بالاجر المحرق وهو على بعد ربع ساعة من دجلة وطول صدرهِ من جهة الشرق ٢٧٠ قدماً في ٨٦ سمكاً وفي وسط البناء رواق او عقد عظيم عرضهُ ٧٦ قدماً وغورهُ ١٤٨ قدماً وسمكهُ ٨٥ قدماً وثخن جدران العقد ٢٣ قدماً وثخن جدران صدر البناء ١٨ قدماً وفي الطبقة الاولى من مستقبل هذا الصرح ستة ابواب غير نافذة وبابان نافذان وهناك اربعة صفوف من الرواشن متقاربة بعضها من بعض وكأنها كانت كناديج تماثيل ويكاد يكون غورها قدماً واحدة. وللصف الذي يعلو الابواب مباشرةً رواشن أصغر بكثير من سائر الرواشن ولا يُرى ان واحدة منها كانت نافذةً وهذا ما يدفعنا الى التكهُّن بان النور لم يكن ينفذ الى داخل المقاصير من باب الصدر من البناء. وقد لعبت ايدي الحدثان بأعلى الصرح وكذلك فعلت في مقدَّم العقد. امَّا جوانبهُ فقد تطاولت عليه ايدي الدهر كل التطاول حتى انها لبست ثياب البلى وتعطَّلت مما كان فيها من الزخارف والحلى. وتأكَّد ان هذا البناء قسمان الواحد في شمالي العقد والثاني في جنوبهِ وكلاهما هُدِم. ويُظنُّ انهُ قد بقي منهما بعض الآثار الدالَّة على صحَّة هذا القول. وفي الصدر الغربي من هذا الصرح بعض بقايا جدران تنفث دلائلهُ في صدر الباحث ما يدفعهُ الى ان يقول بان هذا القصر كان يمتدُّ بعدهُ الى نحو تلك الجهة. والرأي المعوَّل عليه في هذه البلاد ان معنى «طاق كسرى» هو بمعنى ما يقارب قولك: «رواق خُسرو»

ومهما يكن من هذا الشرح فانهُ لم يظهر لنا ان هذا البناء كان هيكلاً للشمس كما ظنَّهُ جمهور من الناس. بل انهُ اطلال قصر واسع شيَّدهُ الملوك الاشغانية في

(١ Beauchamp : *Mémoire sur les Antiquités Babyloniennes.* — Journal des Savants 1790 page 797.

طيسفون وقد اقاموا فيه طالما كانوا سادة تلك الاصقاع وقد ضارعوا في ذلك ملوك الفرس الذين كانوا يتزلون شطرًا من السنة « السوس » و « بابل » ويقضون الشطر الآخر في « همذان » . اما الطاق الباقي بصحته تقريباً الى هذا اليوم فالارجح انهُ كان ايوان هذا القصر وقد اوجبت حمارَّةُ القيظ وضعهُ على ما هو . ولا يمكن ان يختلج في صدرك ان ثخن جدرانه واستقباله للشرق لم يكونا من الدواعي الى كسر الحرّ فيه . وكان ذلك العقد يقوم مقام سرداب او بهو معقود وغائر بعض النور في الارض كما يفعلهُ اليوم البغداديون في فصل الصيف . فكان من الواجب ان يكون لقصر الملوك سرداب ينطبق كل الانطباق على ما كان يُرى في اصحابه الملوك من الزهو والترف . وعليه فكان من باب التحتّم والافادة ان تكون ارفه ردهة القصر واوسعها ذاك الايوان . والارض التي يُظنّ ان طيسفون بُنيت عليها تمتدُّ الى نحو من ميلين » (التتمة للقادم)

القس عبد المسيح لبيان الحلبي

لحضرة الاب الفاضل القس جرجس منش الحلبي الماروني

عرف المشرق قرَّاءهُ الكرام بطائفة من ادباء الوطن وفضلائه فخلّد بذلك ذكر رجال عظام خدموا في حياتهم الآداب والمعارف فنالوا لدى الخاصّة الحظوى والاعتبار السامي . وما مبتغاهُ « بأنعُم الله مناه » الّا احياء مآثرهم ومفاخرهم قبل اندراسها وحثّ الاعقاب على ان يجروا على آثار اولئك الجدود الافاضل فحبّذا العمل وحبّذا الغاية المرومة

وكان المشرق الاغرّ لا يفتر اذ ذاك عن استنهاض الهمّة لتحرّي البحث عن امثال اولئك الادباء الذين شادوا لهم في زمانهم صرحاً رفيعاً من العلوم او اصابوا بسمو مداركهم مقاماً رفيعاً بين العموم . فنشّط ذلك فاتر العزيمة الى مواصلة التنقير عن آثار افاضل الوطن العزيز فوُفّقت للوقوف على نتف من اخبار هذا القس عبد المسيح

العلامة المشهور في كتاب معنون «بتاريخ كنائسي» (١ فتحريت جمعها ونشرها تعريفاً بفضله واعترافاً بخدمته آداب اللغة السريانية وكتب الطقسيات المارونية التي نسبها البعض الى غيره دون بحث ولا تروٍّ وهذا اول ما دعاني الى نشر هذه الترجمة فاقول وعلى الله الاتكال في كل الاحوال

١

ولد عبد المسيح بن بطرس ليان في حلب الشهباء في مطلع الربع الاخير من القرن السابع عشر من اسرة فاضلة برحت بشراي (٢ احدى قرى لبنان وتوطنت المدينة المذكورة مع من توطنها من النازحين اللبنانيين في مطاوي القرن السادس عشر. واماً الآن فقد انقرضت هذه عائلة ليان ولم يبقَ منها بقيّة فسبحان الحيّ الباقي

ولمّا دخل عبد المسيح في ريعة الشباب آنس من نفسه ميلاً الى العلوم والآداب فانتظم في سلك طلبة الكتّاب الماروني الذي كان يوم ذاك مشهوراً فتعلّم فيه مبادئ اللغتين العربيّة والسريانيّة. ثم تدافع الى نيل اربه من اللغة الاخيرة وابتغى لنفسه سلمة سريانيّة وملكة لغويّة ففاق وبهر في فنون السريان وبزّ اهل زمانه طرّاً في آدابهم

ثم اتصل بكوكب الشرق (٣ الخوري بطرس التولاوي البتروني العلاّمة الشهير فدرس عليه الفلسفة واللاهوت النظري والادبي ففاز بالتحصيل لانهُ رحمهُ الله كان بارع الفهم سريع تناول المعاني جيّد الحفظ جليداً على الدرس والمطالعة. وقد شهد لهُ بهذا كثير من معاصريه

وبقدر تقدمهِ في السنّ كان يزداد تقدّماً في التديُّن والتورُّع والصلاح فكنت تراه يبكّر الى البيعة فيقضي فيها قسماً من نهارهِ مستحرّاً بالصلاة والعبادة او قائماً بجانب الهيكل يخدم الكهنة ويساعدهم في اقامة الطرائق (الرتب) الدينيّة بحشمة وإخبات تقرُّ لها ابصار الحضور. فانتشر عنهُ من نفحات التقى والفضل والرسوخ في المعارف ما حبَّبهُ الى السيد ميخائيل البلوزاوي مطران حلب على الموارنة (٤ فاستقدمهُ

---

١) اودع هذا الكتاب مؤلفهُ المجهول تاريخاً مسيحيّاً من عام ١٧٠٠ الى عام ١٧٤٣ وليس في يدي منهُ سوى قسم يسير

٢) كذا قال صاحب الترجمة في ذيل بعض مخطوطاته

٣) بهذا لقبهُ معاصروهُ بالاجماع على ما روى صاحب التاريخ الكنائسي

٤) تولّى اسقفيّة حلب في سنة ١٧٠٦ وتنزّل عنها سنة ١٧٢٥

الى جبل لبنان المبارك وهناك سامهُ كاهنًا في العشر الثاني من الدهر الثامن عشر فظهر القس عبد المسيح كاهنًا جليلًا غيورًا خدم الرعيَّة والآداب خدمةً نصوحًا فنال صيتًا صيِّتًا واحدوثةً طيِّبة يردّدها العارفون الى هذه الأيام

وما عاد القس عبد المسيح الى الشهباء حتى اقبل على حراثة كرم الرب والسعي في مهامّ الكهنوت بغيرة لا تعرف ما الكلل ونهضةٍ لا تدري ما الملل. فعرف لهُ الاسقف والشعب هذه المزيَّة فاقاموهُ وكيلًا على دخل كنيسة القديس الياس المارونيَّة فقام باعباء الوظيفة احسن قيام وانمى ريعها وضبط حساباتها بكل اجتهاد وامانة شأنهُ في كل عملٍ وامرٍ الى ان تنزَّل عنها للقس رزق الله الدويهي (؟) في ١٩ تموز احد شهور عام ١٧٢٥ على ما قال صاحب التاريخ الكنائسي المذكور آنفًا

ثم تولّى ايضًا مهنة تدريس اللغة السريانيَّة مدَّةً معتبرة في الكتَّاب الماروني السابق الذكر فاحسن فيهِ التعليم والتوقيف واجاد في الالقاء والتثقيف فحاز بعض تلاميذهِ قصب السبق بهذه اللغة واشتهروا في زمانهم بمعرفة آدابها

وفي ٢ أيار من عام ١٧٢٤ قدم الشهباء القاصد الرسولي السيد جبرائيل حوًّا. ترويحًا للنفس ومشاهدةً لاخوانهِ واقاربهِ فسوّلت لهُ النفس ان يتعاطى بعض الشؤون الطائفيَّة التي ليس من شأنهِ تعاطيها بل من شأن الاسقف المكاني فهبَّ لمعارضتهِ ومعاكستهِ جرجس ابو موسان (١ احد المتقين المفسدين وتمكن من ان يحمل المطران المذكور على ان يزايل الشهباء. مباتًا فبرحها في ٦ اذار سنة ١٧٢٥ وفي قلبهِ حزازات. فاغتنم هذه الفرصة حساد القس عبد المسيح وشرعوا يقلقون مدّعين عليهِ بانهُ كان ممَّن شايع وبايع على ذلك العمل الشنيع. والحق يقال انَّهُ رحمهُ الله لم يكُ لهُ فيهِ ضلعٍ او تشيُّع اصلًا. ولكن اعداءهُ الاغرار ما انفكوا يقلقون حتى تمكَّنوا من ابعادهِ الى جبل لبنان فانتهى اليهِ في ١٦ من تموز احد شهور سنة ١٧٢٥ ففحص دعواهُ البطريرك يعقوب عوَّاد بكل تدقيق فرآهُ «مسكينًا ولهُ تعب في الرعيَّة» (٢ فبرَّأَ ساحتهُ من

---

١) « في سنة ١٧٢٥ ورد امر من الدولة العليَّة في ضبط رزق جرجس موسان وهذا كان ضربة من الله لانهُ هو الذي سعى بطرد ابن الحوَّاء من حلب». انتهى عن تاريخ مخطوط للرهبانية اللبنانية يُرجح انهُ من تأليف القس ارسانيوس حكيم الذي تسقف على الشهباء سنة ١٧٦٢

٢) عن التاريخ الكنائسي بالحرف الواحد

تلك التهمة الشنعاء وامره بالعود الى وطنه مكرمًا مبجّلًا فكبت كل حسّاده كنا مبينًا

وقبل ان يعود الى الشهباء قابل اسقفهُ الجديد العلّامة الخالد الذكر السيد جرمانوس فرحات الشهير فرحب به وطيّب خاطره واصحبهُ بكتاب منهُ الى رئيس الكهنة القس جبرائيل حوشب ووكلاء الكنيسة يأمرهم به" ان لا يعارضوهُ في شيء لانهُ فقير ومديون وان يردّوا لهُ الكالور (١ الذي انقطع عنهُ مدّة غيابه (٢ ثم قفل بعدئذٍ الى حلب فوصل اليها في ٧ ايلول من السنة المار ذكرها فرحًا مسرورًا

٢

ان قلّة ذات يد القس عبد المسيح حملتهُ على ان يتعاطى منذ شبابه مهنة النسخ التي كانت معتبرة في ذلك العهد وثابر على تعاطيها الى آخر حياته. فترك بعدهُ كثيرًا من الكتب التي خطّتها يمنهُ الطاهرة في اوقات متباينة وقد رأيت لهُ منها نحو مئة كتاب ولم تنحصر مخطوطاتهُ في الشهباء فقط بل انتشر قسم منها في انحاء لبنان وبيروت. وقد طُبع عنها قدّاس رسم الكأس وكتاب منارة الاقداس وغيرهما فشهد الطابعون في خطّه بانهُ من احسن الخطوط السريانيّة ولا بدع فخطهُ جامع بين الحسن والرونق والتناسب والتفنّن كما روى كلٌّ من طالع مخطوطاته

ولما قدم الشهباء المثلّث الرحمات السيد جرمانوس فرحات السابق الذكر قدّر المترجَم به حقّ قدره وقرّبه اليه ورفع شأنهُ وجعلهُ من اعضاء مجلسه المليّ (٣ ونشّطهُ الى التأليف ونسخ مؤلفاته والكتب الطقسيّة وكان يواصلهُ عن اتعابه بالصلات المتتابعة فتحسّنت مهما حالهُ بعد الفاقة والإملاق

فكان القس عبد المسيح في تلك الاثناء يقصّد القصائد ويزاول مهنة النسخ ويثابر على التعليم والتثقيف ويلازم التحبير والتأليف في اللغة السريانيّة فألّف ثلاث عشرة صلاة طقسيّة امتازت بحسن السبك وجودة المعنى والتفنن في الاساليب الشعريّة

---

١) الكالور او الكارور كلمة ارمنيّة حرّفها العامّة وارادوا بها دخل الكهنة او مرتّبهم
٢) عن التاريخ المذكور بحرفه
٣) ستري شرح ذلك في ترجمة السيد السابق الذكر

فعدَّها غير واحدٍ من العلماء من الطبقة الاولى في الصلوات الطقسيَّة المارونيَّة

وهاك اسماء ما خلَّفهُ من الآثار العلميَّة: ١ً صلوة احد الورديَّة (مساء وستار وصبح وساعة ثالثة) قال انهُ انتهى من تأليفها في غرَّة تشرين الاوَّل من سنة ١٧٢٦ للمسيح = ٢ً صلوة عيد جميع القديسين (مساء وستار وصبح) قال انهُ انجز تأليفهُ في اواخر تشرين الاوَّل من السنة المذكورة = ٣ً صلوة عيد القديس جاورجيوس (١ (مساء وستار وصبح) قال انهُ اتمَّ تصنيفها في ٢٠ نيسان من السنة المار ذكرها = ٤ً كتاب الحسايات التي تُتلى في ستَّار (٢ اسابيع الصوم والعجائب والشعانين والحواريين(٣ قال انهُ انجز تعريبها عن السريانيَّة في اواخر حزيران من السنة عينها = ٥ً صلوة الاحد الاوَّل بعد العنصرة (مساء وستار وصبح) قال انهُ انهى نظمها في اواخر نيسان من عام ١٧٢٧ = ٦ً صلوة الثالوث الاقدس (مساء وستار وصبح) قال انهُ اتى على تأليفها في اواخر أيار احد شهور العام الآنف الذكر = ٧ً كتاب الصلوات (المطورة) الغير المنظومة في الشحيم (٤ اتمَّ ترجمتها من السريانيَّة بأمر المطران جرمانوس فرحات الشهير (٥ في ٨ آب سنة ١٧٢٨ = ٨ً صلوة الاحد الجديد وعيد مار توما الرسول (مساء وستار وصبح) قال انهُ انتهى من تصنيفها في اوائل تشرين الاوَّل من عام ١٧٢٩ = ٩ً كتاب حسايات الشحيم (٦ انجز تعريبها عن السريانيَّة (٧ في ١٩ نيسان من سنة ١٧٣٠ = ١٠ً صلوة عيد الحبل بلا دنس (مساء وستار وصبح) قال: كان انجاز من تأليفها في ١٣ آب من عام ١٧٣١ = ١١ً صلوة شرف مريم العذراء (مساء وستار وصبح) قال انهُ اتمَّ تصنيفها في اواخر نيسان سنة ١٧٣٣ = ١٢ً

---

١) هي غير صلوة مار جيورجيوس المثبتة في كتاب التنقيط الصيفي

٢) انَّ حسايات المساء والصبح لمن ترجمة العلَّامة الطيِّب الذكر المطران جرمانس فرحات

٣) اطلعتُ على هذا الكتاب بخط مترجمهِ وهو من تعريب المطران المذكور

٤) طالعتُ هذا الكتاب بخط مترجمهِ القس عبد المسيح فلم ارَ ذكرًا للخوري انطونيوس شهوان النسطاوي كما يُرى في بعض النسخ المخطوطة بلبنان فاقتفي اثنيه

٥) هذا الكتاب من تعريب المطران المذكور

٦) الكتاب مصحح بقلم المطران الآنف الذكر

٧) اطلعتُ على هذا الكتاب بخط مترجمهِ في مكتبة جناب الشهم الماجد رزق الله بن شكري ايوب الماروني

صلوة عيد مار مارون الناسك (١ (مساء وستار وصبح) قال انهُ انتهى من نظمها في ١٨ تموز من سنة ١٧٣٣ = ١٣ً صلوة عيد القربان الاقدس (٢ (مساء وستار وليل وصبح وساعة ثالثة) قال انهُ انجز تأليفها في اواخر أيار من عام ١٧٣٦ = ١٤ً كتاب السواغيت (٣ اتمّ تعريبها عن السريانيَّة في اواخر تموز من سنة ١٧٣٥ = ١٥ً صلوة الستار لمعترفٍ ما (٤ الّفها في اوائل حزيران من عام ١٧٣٦ = ١٦ً صلوة رسولٍ ما (مساء وستار وصبح) قال انهُ اتى على تصنيفها في اوائل أيار سنة ١٧٤٠ = ١٧ً صلوة عيد مار الياس النبي (مساء وستار وليل وصبح وساعة ثالثة) قال انهُ انجز تأليفها في اوائل تموز من عام ١٧٤٠ = ١٨ً صلوات ستّة استعداد الميلاد (٥ نسخها الشدياق فرنسيس بن الياس فتح الله الماروني سنة ١٧٦٠ = ١٩ً صلوة مار ميخائيل وجبرائيل اصلح عبارتها واضاف اليها بعض صلوات من صلوة شرف العذراء واتمّ ذلك سنة ١٧٣٠ = ٢٠ً صلوة الاحد الاول من الصوم اصلح عبارتها ايضًا والحان الستار من نظمهِ كما يظهر بالمقابلة

هذا ما رأيت لصاحب الترجمة من التآليف الغرّاء وقد طالعتها كلها مخطوطة بيمينهِ الطاهرة ما خلا صلوات اسبوع استعداد الميلاد كما علمت سابقًا والذي يظهر لي ان الاجل لم يفسح لهُ مجالًا لتبييضها او نسخها. ولا بُدَّ لك من ان تعلم انهُ رحمهُ الله لم يراعِ فيما الّفهُ من الصلوات الّا فخامة الكلمات وتوافق الجناسات وانسجام السجعات وما اشبه ذلك من المحِسنات اللفظيَّة التي وسموها بالفنون البديعيَّة فجاءت عبارتهُ لا تخلو من المعاني الجليلة غير فاقدة الاساليب الرفيعة

ولا بدع فانهُ كان ابرع اهل السريانيَّة في عصرهِ وادقّهم علمًا بمواضع الالفاظ وارجحهم فهمًا برونق التأليف. فاذا نظرت الى كلامهِ كلمةً كلمةً حسبتها جواهر يشبُ

---

١) عزا البعض هذه الصلوة للبطريرك العلامة يوسف اسطفان المتوفَّى سنة ١٧٩٣
٢) هي غير الصلوة التي الّفها المطران جرمانس فرحات المذكور مرارًا
٣) هذا الكتاب يحوي ترجمة نحو ١٠٠ سوغيت من سواغيت الاعياد الاحتفالية لكنّ ترجمتهُ ركيكة لان صاحب الترجمة لم يكن ماهرًا في اللغة العربيَّة
٤) امَّا صلوة المساء والصبح فمن نظم القس الفاضل عطا الله زنده الحلبي
٥) وهم البعض ان هذه الصلوات للمطران الفاضل يوسف اسطفان المتوفَّى سنة ١٨٢٣

بعضها بعضاً. كيف لا وهو البليغ الذي لم تكسر الفهاهة معنًى خلج في صدرهِ والفصيح الذي لم تحجب اللكنة خاطرًا دارَ في خلدهِ. فأيما خاطر خطر لهُ واَيّما معنى تصوَّره ابرزهُ كاسياً بحلَّة البيان والجناس والبديع وتلك غاية قلَّ من انتهى اليها احد من معاصريهِ

ثم طعن هذا الاب الفاضل في اَيامهِ فعانى مشاقَّ الشيخوخة مع اتعاب التأليف والنسخ بمزيد الصبر وملازمة التجلُّد. وما زال يعدُّ نفسهُ لملاقاة ربّهِ الى ان فاضت اليهِ تعالى في ٣١ من اذار احد شهور عام ١٧٤٢ للمسيح فعظم المصاب فيهِ على آداب اللغة السريانيَّة التي اعاد اليها الفخر والمجد وافل بافولهِ كوكبها المنير ومن عجبٍ ان يأفل الكوكب في اللحد

فلئن بكتهُ أسًى يحقُّ لها او لا ففي سعةٍ من العذرِ
فلمثلهِ جرت العيون دماً ولمثلهِ جمدت فلا تجري

وكان على ما افاد معاصروهُ قويَّ البنيَة ربعة القوام سهل الاخلاق رحب الصدر ثَقوب الرأي يقظ الفؤاد مكرَّم الجانب متوقد الذهن حسن البيان فصيح اللسان بليغ الكلام كثير المحفوظ حازماً مقداماً عالماً عاملاً شاعرًا مفلقاً نبيهاً. رحمهُ الله عداد حسناتهِ وافرغ عليهِ شآبيب عفوهِ ورضاتهِ

تباُين الحظوظ بين الناس

لحضرة المنسنيور يوسف العلم النائب الاسقفي

خطاب تلاه في غرفة القراءة لاخويَّة القديس مارون في ٣١ تموز سنة ١٩٠٢

انَّنا في كلامنا السابق « في الالفة البشريَّة » (١ في هذه الغرفة البهيَّة وعدنا بالجواب على اعتراضين أوردهما المخالفون حرصاً على الالفة : (اوَّلهما) لماذا لم تكن الارضون مقسومة بين الناس قسمةً متساوية حفظاً للالفة بينهم او لماذا لا تُقسم الآن بالتساوي دفعاً للنفار الذي يحصل بينهم من عدم تساويهم في اقسامها. (ثانيهما) لماذا تباين الناس

---

١) راجع المشرق (٥ : ٦٥٤)

في الحظوظ تبايناً مبيناً على حين قد خُلقوا من اصلهم للالفة فانهُ لا يلائم مبدأ الالفة على زعمهم ان يُرى هذا غنيًّا سريًّا معما هو عليهِ من نواقص المعارف ونقائص الاعمال وذاك على ما فيهِ من سموّ المدارك وحسن المسالك في اسوإ حال لا قيمة لهُ ولا قدر وكأني بهِ يقول:

وكم اخطرُ في بالٍ ولا اخطرُ في بالِ

فلو وُجد توفيق بين الناس في هذا الامر بان تكون خيور هذه الدنيا لهم بحسب استحقاقهم من جهة فضلهم وعقلهم وجدهم لاستتبّت الالفة بينهم. فانجازًا للوعد وحبًّا بتتمّة الفائدة من كلامنا على الالفة البشريَّة ولواحقها اقول الآن

الردّ على الاعتراض الاوّل في اقتسام الارض المتساوي بين الناس

ان الاعتراض الاوّل ليس من ورائهِ كبير امر ولا هو من المشاكل لكن احبُّ ان يتملّل بهِ بعضٌ من اخوان البطالة والطيش سدًّا لمطامعهم من ثروات الاغنياء بدون ان يتعبوا انفسهم في عمل على حين انَّ الانسان ترتّب عليهِ منذ اوائل عهدهِ تحصيل معاشهِ من تعب يديهِ وعرق جبينهِ متشاغلًا في تقليب هذه الارض التي كانت اوَّلًا للجميع مشاعًا لكن لمَّا اخذوا يتكاثرون فيها غشي كلٌّ قسم منهم قسمًا منها وشغلهُ فلكهُ. وهكذا بالتدرج الى ان صارت كلّها مملوكةً وهذا مطابق للعقل والعدل والتاريخ

فلو أحيينا الآن حبًّا بخاطر اصحاب هذا الاعتراض ردَّها الى اصلها وقسمناها على الاهلين فاخذ هذا قسمةً وشغلهُ وبالغ في العناية بهِ وتدبّر في أمر معاشهِ فصار غنيًّا مثريًا امَّا ذاك فعمل بالعكس على ما نرى الآن بامّ العين في العيال الغنيَّة فان بعضًا منها يأخذ قسمهُ ويزيده بجدّهِ وادارتهِ والبعض الآخر لا يلبث ان يبدّد نصيبه من بيت والدهِ تبديد الابن الشاطر المضروب مثلهُ في الانجيل الكريم فيلزمنا عند ذلك ان نعيد القسمة كل يوم ولكن من دون فائدة لا بل يجرّنا ذلك الى تشويش نظام الكون وتوريط اهل الكسل في غيّهم

هذا فضلًا عن حجّة ثانية ترد علينا من وراء هذا الاقتسام المطلوب وهي لو أنّنا قسمنا ارضًا بين قبيلتين فنمت الواحدة منها بعد القسمة حتى صار عددها عشرة آلاف نسمة مثلًا. واما الثانية فلم يكثر عددها بل تناقص ومن ثمَّ لم يبقَ توازن بين القبيلتين في العدد فكيف يكون العمل . . .

انهُ لا توفيق في هذا المبحث الّا بما رسمهُ الكتاب العزيز وهو ان الاغنياء عليهم ان يوزّعوا من فضلاتهم على المساكين مستخدمين لهم في اشغالهم وعلى المساكين ان ينفعوا الاغنياء في اجتهادهم وخدمتهم في مصالحهم فهذه هي قاعدة الاقتصاد المسيحي وهو مطابق للعدل والعقل. قال فم الذهب: « وما مثلُ هؤلاء واولئك الّا مثل البطن والاعضاء. فان البطن حقُّهُ ان يتناول الطعام لكن لا لحفظهِ برمّتهِ لنفسهِ بل لتوزيعهِ على الاعضاء حتى اذا لم يوزّعهُ وترك الاعضاء تذوب جوعاً وتضوَّرًا قامت كلّها عليهِ واوقعت بهِ. فعلى هذا النحو تُحفظ الالفة بين الناس بأنْ يُساعد الاغنياء الفقراء باموالهم ويساعد هؤلاء اولئك مبتعدين عن دكّات البطالة وحانات اللهو متشاغلين في امورهم فيصح لنا ان نقول حينئذٍ ما قالهُ احد الائمة العقلاء. وهو ان معاهد الالفة الحقيقية انّما هو الدين القويم وان النصراني الصحيح هو الفيلسوف والمقتصد الحكيم » اه

الردّ على الاعتراض الثاني في تباين الحظوظ بين البشر

وامّا الاعتراض الثاني بتباين الحظوظ فالجواب عليهِ يوجب علينا ان نأتي اوّلًا على ذكر شيء من امور العناية الصمدانيَّة ولستُ اظنّ انَّ بينكم من يشكّ في وجود هذه العناية وشمولها لهذه الموجودات باجمعها وهو يعرف ويعتقد ان الله تعالى هو الخالق لهذه الموجودات وانَّها لم توجد من نفسها وان بينهُ وبينها نسبةً تستدعي منهُ حفظها والعناية بامرها على انَّ الصانع الحكيم لا يعنيه فقط إحداث عمل من صناعتهِ بل يعنيه ايضاً الاهتمام ببقاء ذاك العمل وصيانتهِ. وايُّ مهندس عاقل يبني جسرًا مثلًا ولا يعنى بامر بقائهِ ودوامهِ. وايُّ ساعاتي لا يهمّهُ دوران الساعة التي ركّب ادواتها وهاكم النظام الغريب في مدار هذا الفلك الفسيح فانهُ اعظم دليل على وجود العناية. فكيف استوت يا ترى هذه الكواكب العديدة المختلفة الاجرام كل هذه المدّات المديدة في مراكزها دون تتقلقل وكيف استمرَّ دورانها كل هذه الاجيال الطوال دون اختلال ولا اعتلال وكيف لم تختلف قطّ ايّامها ولياليها عن ترتيبها منذ عهد ابداعها وكيف حُفظت هذه الموازنة فيها لولا العناية. وزد عليهِ ان هذه الكائنات عديدة ومختلفة ذات خصائص وطبائع متباينة فلا بُدَّ ان تكون مربوطة بنظام وترتيب وان كان هنالك نظام وترتيب لزم ان تكون بداءة وغاية ووسائط تؤدّي الى الغاية وهذا كلّهُ يستلزم وجود عناية لان سوق الاشياء الى غايتها لا يتمّ بدون عناية من خلقها لتلك الغاية

وهذا لا يتم بدون معرفة الماضي والحاضر واستدراك المستقبل ومَنْ تُرى يعرف الماضي والحاضر والمستقبل غير الله

وما لنا وهذه الاستدلالات ونظام هذا الكون لا يُتصوَّر قيامهُ بدون حكمة سامية وقدرة الهيَّة ونحن كلُّنا مسيحيُّون بنعمة الله ونعتقد وجود عناية في الله بجلالتهِ كلها لانهُ هو الذي ابدعها وهو الذي يحفظها ويدبّرها. وهذا الكتاب المقدَّس فانهُ اهمّ تاريخ لاعمال العناية الالهيَّة حيث ابان لنا تصرُّفات العناية منذ البداءة في حق آدم ونوح وابرهيم وموسى وداود وغيرهم كثيرين في جميع حركاتهم وسكناتهم بما بذلت لهم من الوسائل وقيَّضت لهم من التدابير العجيبة لا بوجه الاجمال بل بالخصوص. فايُّ عاقل يطالع تاريخ هؤلاء ولا يرى ظاهرًا ان هنالك عناية سموية ساقت نوحًا الى عمل فلك نجا به هو وعائلته من غائلة الطوفان. وان تصرُّفات يوسف في ظهراني اخوته وفي حبسه وفي قصر فرعون لم تكن من باب الخبطة والاتفاق. وان اعمال موسى في جانب فرعون وشعب اسرائيل لم تكن من وجه الاتفاق والصدفة بل كانت كلها مرتَّبة ومنظَّمة ومنسوقة ومسوقة ترمي الى غايات مخصوصة واغراض معيَّنة. وهذا الانجيل فانهُ قد ابان لنا بعبارة صريحة عناية الله في جانب خلائقهِ كلها كاشراق الشمس وانزال المطر وكالطيور في غذائها وقوتها وطيرانها وهبوطها وكاعشاب الحقول في كسائها من الزهور الزهيَّة اثوابًا لم يلبسها سليمان الحكيم في زكيّ مجده وعزَّتهِ السنيَّة. واما في جانبنا نحن مخلوقاته الناطقة فان عنايتهُ فائقة ومتناهية بحيث أتت بما لم تأتِ بهِ امٌّ من الامهات من احصاء شعور رؤوسنا محافظةً علينا

يقول البعض أننا اذا نظرنا الى تصرُّفات العناية وجدنا فيها احيانًا اعمالًا لا تخلو من المناهز والمعايب الغير اللائقة كرمي يوسف مثلًا في الجبّ والحبس وبيعه من اخوته والقاء موسى في الماء وهربهُ الى البرّيَّة لرعاية غنم حميه الى غير ذلك من الاحداث التي على ما يظهر لا تُشعرنا بان عناية الله كانت ساهرةً على اولئك الرجال تدبّر امورهم بضبط وتدقيق. وهكذا قل في الاحداث العموميَّة كالخطيئة الاصليَّة التي جلبت المضارّ على البشر وبروز الهرطقات في الكنيسة المقدَّسة ونظائر ذلك فكيف تكون العناية والحالة هذه مستوفية كامل مقتضياتها من الدقَّة والضبط في تصرُّفاتها

اقول. ان الجواب على هذا يدعونا الى استيضاح بعض قواعد عامَّة وهي اولًا ان

اجزاء الكون واطرافه باجمعها مترابطة متشابكة ببعضها حتى اظنّ انك لا تقدر ان تعرف جزءًا منها دون غيره بل بالاحرى من دون ان تعرف الكل. وبموجب هذه القاعدة متى رأيت حدثًا جللًا ورمت ان تحكم فيه يلزمك قبلًا ان تعرف وقوع هذا الحدث في أية حلقة من حلقات السلسلة المربوطة بها اطراف هذا الكون وان تعرف ما العلاقة بين حلقة وحلقة اي ما لذاك الحدث من النسبة الى الحوادث الماضية والحاضرة والآتية. فان بعض الحوادث لا يُتوصَّل الى معرفة حقائقها ولواحقها ومندرجاتها ومتعلقاتها الّا بعد مرور اجيال فكيف يمكنك والحالة هذه ان تحكم في امر لست ترى منهُ الّا شيئًا طفيفًا وقد تمرُّ الاجيال عليه ولا تزال اشياء منهُ غامضة عليك. «عرفت شيئًا وقد فاتتك اشياء». كما قال العالم بسكال. قال القديس اغوسطينوس: «ان قدرت ان تعلم كل شيء من هذا الوجود فاحكم وسبّح بحمد ربّك واما اذا لم تقدر ان تعلم الّا اشياء طفيفة جدًّا فكيف تتجرأ ان تحكم في الكلّ والكلّ كبير وعظيم جدًّا».

وقال لم الذهبي: «ان شئت ان تحكم حكمًا قويًا في الامور فانتظر نهايتها. فما قولك برجل ينسب الفلّاح الى الجهل والغباوة لانهُ يراهُ يبذر بذارهُ في الارض فيظن انهُ يتلفها بذلك اليس هو احقّ منهُ بالملامة والتقريع اذ لا ينتظر ايّام الحصاد فيرى السنابل حوامل والحبّة الواحدة توفّرت فصارت ثلاثين وستين ومئة فكذلك لا يمكنك ان تدرك اعمال الخالق وتحكم فيها لقصر فكرك فانتظر النهاية يَنجلِ لك كلّ شيء».

وبناء عليه لا يسوغ لنا ان ندين العناية العلويّة ولا ان نعيب تصرفاتها فيما لو تساءت احيانًا بوقوع ما لا نراهُ نحن ملائمًا كمعصية آدم مثلًا فانَّنا اذا لم نُراعِ كل ما يلزم مراعاته ونعتبر كل ما يلزم اعتباره من كل جهة ضللنا في الحكم واخطأنا. ولكن متى لاحظنا جيّدًا ان الله قد انعم على الانسان بأجلّ هبة واشرف نعمة وهي الحريَّة الّا ان الانسان تصرّف بحريته واساء في تصرفه واما الله جلّت حكمتهُ فاستخرج من هذا الشرّ خيرًا لنا ومجدًا لاسمه وذلك بتجسُّد ابنه يسوع المسيح الذي رفع الطبيعة البشريَّة الى اشرف مكانة وجعلها عن يمين الله في السماء وصيَّرنا نحن اولاد آدم ورثةً معهُ في ملك مجده ومجَّد اباهُ مجدًا لا يعادلهُ مجد فكان الخير اعظم بكثير من شرّ تلك المعصيَّة ومن ثمَّة كان حكمنا على عنايته تعالى غير مصيب

تقول ولماذا اعطى الله الانسان هذه الحريَّة وتركهُ وشأنهُ يعمل ما يشاء. اجيبُ

ان الله انما قصد في اعطائهِ الحرّية للانسان امرين خير الانسان ومجد اسمهِ عزَّ وجلَّ فالانسان الذي لا يحسن التصرُّف بحريتهِ يكون هو الذي اختار خسارة خيرهِ وجلب لنفسهِ الضرر بهواه ورضاهُ واما الله جلَّ وعلا فانهُ لا يدع مجد اسمهِ ان يلمَّ بهِ اذًى اذ يُجري عند ذلك في جانب هذا الانسان مقتضيات العدل ويستبقي شرفه سالمًا غير ممسوس. وعليهِ فالشرور التي نراها نحن لقصر عقلنا غير ملائمة في حقّ العناية الصمدانيَّة لا تكون كذلك في نفسها عند الله اذ لا لوم على العناية ولا ذنب والله بسامي تدبيرهِ يحصل الغاية المرتَّب لها هـذا الوجود في كل الاحوال ولا يكون خاسرًا الَّا الانسان الذي ما احبَّ ان يتصرّف بحريتهِ تصرُّفًا حسنًا بل اختار برضاه ان يخالف النظام الموضوع لهُ من ترتيب العناية

واما قولك: « ولماذا ترك الله الانسان لحريتهِ يعمل كلّ ما يشاء » فالجواب عليهِ هو ان الله تعالت حكمتهُ قد احبَّ ان يكون الانسان انسانًا واما انت فكأنك تحب ان يكون الانسان حيوانًا اعجم لا بل جمادًا. الله جلَّ جلالهُ احبَّ ان يكون للانسان فضلٌ في اعمالهِ ويتحلَّى باشرف مزيَّة وانت تريد ان تنزع عنهُ هذا الفضل وتلك المزيَّة. قل لي بحقك ايُّ فضل كان للانسان في اعمالهِ لوكان يأتيها اضطرارًا واجبارًا من دون رضًى ولا حرّية ولا اختيار. وهل كان يترتَّب لهُ عليها ثواب ام كان يترتب عليهِ منها عقاب. وما كانت الفائدة من الشريعة التي تأمرهُ بالخير وتنهاه عن الشرّ ان كان ليس لهُ حرّية في اعمالهِ. وايُّ عدلٍ كان في الحاكم التي تقضي على ذلك الجاني بالاعدام او بعقوبة زجرًا لهُ ولغيرهِ عن ارتكاب المعاصي. لا بل ما كانت الفائدة من الاديان نفسها لوكان الانسان عديم الحرّية والاختيار في اعمالهِ. ولعمر الحقّ انهُ لَتزولأنا العجب عند ما نرى مثل هؤلاء قد انكروا عليهِ الحرّية وهو يشعر بها من ذات نفسهِ. فمن حاول ان يعري الانسان من اشرف هبة نالها من مراحمهِ تعالى قد احبَّ مسخهُ وان لا يكون انسانًا وبعبارة ثانية قد احبَّ إبطال هذا الكون الادبيّ بجملتهِ لانهُ اذا لم تكن للانسان حرّية صحيحة لم تكن فائدة من وجود الاحكام والاديان فتأمل

ان من عرف شرف الحرّية وفضلها عرف حكمة العناية الالهيَّة في رعاية جانب هذه الحرّية في الانسان فان الاكرام الذي يؤدّى لله تعالى من انسان واحد من الناس عن مطلق حرّية واختيار لهو اعظم من الاكرام الذي يتقدَّم لهُ تعالى من جميع الخلائق العجماء

لان هذا التكريم من هذه الخلائق هو حاصل لله من نفسه اي حاصل من الخلائق بلسان حالها لا من علمها ورضاها بخلاف التكريم الذي يناله الله من الانسان فانهُ تكريم صحيح حقيقي لانهُ صادر عن حرّية ورضى واختيار فهو والحالة هذه اشرف وافضل بما لا يُقاس لصدوره من خليقة تريد لن تكرّم خالقها وان تحبه وان تعبده برضاها وحرّيتها واختيارها وهذا الفرق ظاهر لا يحتاج تبياناً ومن انكرهُ كان كمن لا يفرق ما يلقاه من أميال بنيه عمّا يلقاه من اميال مواشيه. قال المعلّم الملكيّ: «اذا زالت الحرّية من الانسان زال معها منّا الاختيار وزال الاغراء والتحريض والامر والنهي والاقتصاص»

هذا ولا تقوم الحرّية في الاقتدار على عمل كل شيء من خير او شرّ ومليح او قبيح بلا قيد ولا حدّ فان هذه الحرّية المطلقة العنان التي لا تُقيَّد في اعمالها ليست هي الحرّية الصحيحة المنظّمة لانّ قوام الحرّية انما هو في اقتدارها على عمل ما لا ينهى عنهُ العقل وترك ما لا يحسن عملهُ اي في اختيار ما ترسمهُ الشريعة لاننا لو اطلقنا للحرّية العنان لعمل كل شيء خارجاً عن الشريعة وفي دائرة الشريعة لاقينا من وراء ذلك ما لا نريد بل لاقينا المُحال. وذلك لو أبحنا لزيد مثلاً ان يعمل كل شيء لزمنا ان نبيح لعمروٍ مثلهُ عمل كل شيء. وهذا محال اذ يعود عمرو ضدًّا لزيد لا بل يعود الباقون كلهم ضدًّا لهُ اذ تكون ابحنا لهُ كل شيء ولهم ابحنا كل شيء. فكيف التوفيق بينهم والحالة هذه أليس هذا التوفيق من المحال

فالشريعة اذاً هي صوان الحرّية وحماها لان الذي يعمل بحسب الشريعة لا يقدر ان يمسّهُ احد فيمنعهُ عن عمله او يجبرهُ عليهِ لان الشريعة ملجأهُ وحماه. قال شيشرون قولاً بديعاً في هذا الخصوص: «انّا اذا ما تقيّدنا بالشريعة صرنا احراراً». فالحرّية اذاً لا تقوم باطلاق العنان لها في اعمالها بل في اختيارها هذا العمل او ذاك اي في امكانها ان تعمل ما يُراد عملهُ وان تترك ما لا يُراد عملهُ. فلو ترك الله الانسان وشأنه في استعمال حرّيته في كل شيء. لما تبقّى لهُ الى ملامته سبيل وكان مثلهُ مثل ربّ بيتٍ ترك عبيده يعملون ما يشاؤون فعملوا ما لا يريد فاذا لامهم عليهِ وهو لم يضع لهم دستوراً يمشون عليهِ في خدمته كان لومهُ لهم في غير محلّه لا بل كان ظلماً تعالى الله عن ذلك

السرّ في تباين الحظوظ

فلنأتِ الآن بالجواب على السؤال الاخير بخصوص تباين الحظوظ بين الناس ومداره

امران (اولهما) تباين المواهب والحالات (ثانيهما) اشتراك خيور الدنيا بين الاخيار والاشرار

وقد طالما طرح هذا السؤال في الاعصر الخوالي وكثيرًا ما ترى الناس يكررونهُ وهو لماذا ترى الاخيار في سوء حال والاشرار في حسن حال وعلامَ اولئك الفضلاء العقلاء يشقون وهؤلاء الجهلة السفها ينعمون. ان الجواب على تباين المواهب والحالات بين الناس لا يخفى على مَن طالع مقالتنا السابقة في «الالفة البشرية» (راجع المشرق ٥: ٦٥٤) حيث اثبتنا ان العناية الالهيَّة قد وزَّعت مواهبها بين البشر ضنًّا منها على حفظ الالفة ليكون الواحد مفتقرًا الى الآخر كما وزعت في الارضين غلّاتها لتحصل المواصلات والمعاملات وكلها وسائل للالفة وابرام حبالها

امَّا الآن فعلينا ان نبحث بحثًا مدققًا في تباين الحظوظ بين الناس وكثيرًا ما بحث عنهُ قبلنا اعلام العلماء واقطاب الايمة لانهُ من المشكلات المعضلات اذ نعلم حقيقةً من جهة ان عناية الله شاملة الجميع وانهُ يحب الابرار ويبغض الاشرار لانهُ صالح وقدوس فمن الواجب اللازب ان يوفق الابرار الى كل خير ويتعقَّب الاشرار بكل ضير. ألّا اننا من جهة أُخرى نجد الامر احيانًا كثيرة على خلاف ذلك فتأخذنا الدهشة والحيرة حينئذٍ من ماجريات العناية على هذه الصورة. وهذه خيور الدنيا تنحصر في اربع صحَّة وثروة ووجاهة وحياة فاذا نظرنا الى الصحَّة مثلًا نرى ذاك اللص الشرير مالكًا منها جانبًا عظيمًا اذ نجدهُ صحيح الجسم قوي البنيَّة ونرى هذا العابد المتهجد ضعيفًا نحيفًا:

كهلال الشكّ لولا انهُ أنَّ عيني عينهُ لم تتأيِ

وهكذا الثروة فان ذاك الجاهل الكافر شبعان متمول وهذا الفاضل العاقل جوعان متسوّل. وكذلك الرفعة والوجاهة فانك ترى ذاك المعوجّ الذي لا يعرف الاستقامة والعدل سائدًا مترجحًا يقول ويطول وهذا المستقيم المنصف مرفوت معزول لا يطلب صعود درجة من الرفعة والمناصب حتى تتلقاهُ عقبات ومصاعب. وهكذا الامر من جهة الحياة فانك تجد ذلك القاهر الغادر يعيش عيشًا رغيدًا مديدًا وهو يُميت كثيرين بظلمهِ وغدرهِ وترى ذاك المحسن الكثير المبرَّات الذي احيا كثيرين بحسناتهِ وصدقاتهِ تنتالهُ المنيَّة قبل ميقاتهِ ووراثيهِ ينشد حولهُ:

ولكنَّ المصيبة فقد حرٍّ يموت لموتهِ خلقٌ كثيرُ

هذا ثمَّ انَّنا في طور آخر نجد العكس في كل ما ذُكر فانَّنا نرى بعض الاشرار يقصفهم الله في ريعان عمرهم وبعضهم يصبحون لا يملكون شروى نقير بعـد ما كانوا من اصحاب الثروات الطائلة. وآخرين منهم استولت عليهم مواكب الامراض والعاهات حتى صاروا عبرةً لمن اعتبر. وكذلك الاخيار فاننا نرى منهم اصحّاء متعافين واغنياء متمولين واصحاب وجاهة ومكانة. ومنهم من يعيشون عمرًا طويلًا حتى يشبعوا من السنين وهم اصحاب ثروة وسطوة ورفعة ومقـدرة كابرهيم وايوب وداود وغيرهم. فكيف السبيل والحالة ما ذكرنا الى معرفة دخيلة الامر من تصرُّفات العناية الإلهيَّة في هذه الحيود وتوزيعها بين الاخيار والاشرار بصورة ملتبسة غامضة لا بل فيها من الملابسة والمغالطة ما لا يخفى اذ ليس لها قاعدة ولا قياس نبني عليه حكمًا مطَّردًا

فلنذهب والحالة هذه الى المعلم السماوي الذي انار العالم كله بنور تعليمه عسانا نجد عنده فتوى أو قولًا فصلًا لهذه المشاكل. فانَّهُ تعالى اسمهُ حضر عنده ذات يوم (لوقا ١٣) قوم يخبرونهُ بالذين سقط عليهم البرج في سلوام وابادهم وكانوا ثمانية عشر. ثم اتى اليهِ قومٌ غيرهم اخبروهُ عن الذين قتلهم بيلاطوس من اهل الجليل وخلط دماءهم بذبائحهم وكان اولئك المخبرون يظنُّون ان تلك البلايا حلَّت بهؤلاء واولئك لفرط شرّهم فقال لهم السيد المسيح: «اتظنون ان هؤلاء واولئك اكثر شرًّا واثمًا من جميع الساكنين في اورشليم كلَّا فان لم تتوبوا انتم فكذلك تهلكون». هذا ما قالهُ معلمنا الالهي بخصوص البلايا وامَّا توزيع النعم فقال فيهِ (لوقا ٤: ٢٧): «برصٌ كثيرون كانوا في عهد اليشاع النبي فلم يطهر الَّا واحد منهم وارامل كثيرات كنَّ في أيام إيليَّا النبي فما انتفع منهُ الَّا واحدة منهنَّ من صَرفت صيدا».

ثم اننا نرى معلمنا هذا السماوي يوضح لنا في محالّ أخرى ان بعض البلايا تحلّ بالناس عن ذنب وبعضها عن غير ذنب. فان المقعد الذي شفاهُ هو لهُ المجد قال لهُ (يوحنَّا ٥: ١٤): «لا تعُد تخطئ لئلاَّ يصيبك اشرُّ». والاعمى شفاهُ وسألهُ رسلهُ (يوحنَّا ٩: ٢) عن سبب عماه ان كان منهُ او من أبويهِ لذنوب أتوها فقال لهم: «لا هو ولا ابواه اذنبوا ولكن ليتمجد الله» اذ عمل منهُ الاعجوبة فاستحقت لهُ الشكر والتمجيد

فوالحالة هذه كيف يستقيم لنا حكم في تصرُّفات العناية الالهيَّة سواء كان في توزيع الحيود او في انزال الشرور الَّا بان نقول انَّ هذه البلايا وهذه الخيرات تصيب

الابرار والاشرار معاً لغاياتٍ سامية يقصدها تعالى. وان سألت عن هذه الغايات اجابك القديس اغوسطينوس بدقّةٍ عند كلامهِ عن الحادثين المذكورين آنفاً فقال: « انَّ الله لا يسمح في هذه الدنيا بجميع الاخيار ان تلمَّ بهم المصائب ولا بجميع الاشرار ان يكونوا ناعمي البال خالين من البلايا ولا يأمر بهؤلاء ان يتعذّبوا ولا باولئك ان يتنعّموا. على انهُ متى تنعّم جميع الاخيار تهافت الناس على عبادة الله طمعاً في نعيم الدنيا لا على رجاءِ الخيرات الابديَّة ولو تسامح بان يكون جميع الاخيار متعذبين متضايقين في هذه الدنيا لأدّى ذلك الى شكوك وتقاويل اذ يُقال: « هوذا حبّ التقوى يُدلي الى جبّ البلوى ». وكذلك لم يأمر بجميع الاشرار ان يعذّبوا بهذه الدنيا فراراً من اقبال الناس على حبّ الفضيلة عن خوف وفزع ولا بان يتنعّم كل الاشرار هُنا حذراً من اعتبار الناس ان عمل السيئات مأتى للحسنات. لكنْ جلّت حكمتهُ ترك - تصرُّفات عنايتهِ الالهيَّة تتراوح بين الاخيار والاشرار في البلايا والمصائب كما تركها تتراوح بينهم ايضاً في النعم والمواهب. فلا يفرح الناس بأَجل ذلك الشقي اعتقاداً منهم بان العدل انزل بهِ المنايا اقتصاصاً منهُ حتى يحزنوا لرؤيتهم هذا التقي يشربُ الكأسَ نفسها فتلتبس عليهم المسألة ولا يعرفون من طرفيها شيئاً وكيداً الَّا انَّهم لا يرتابون في ان الله يحبّ اولياءهُ الابرار وقد اعدَّ لهم نعيم الملكوت جزاء كافياً عن اتعابهم واحتمالهم في هذه الدنيا لا هبةً منهُ واحساناً اذ لا بُدَّ لهم من احتمال البلايا والنوائب » اه.

ولمَّا سُئل القديس يوحنا فم الذهب لماذا الاخيار في سوء حال والاشرار في حسن حال اجاب بقولهِ: « ليس الامر كذلك على وجه الاطلاق لان بعض الاشرار يبتليهم الله وبعضهم خالون من البلايا وكذلك الاخيار فان بعضهم يتنعّمون وبعضهم يشقون. وان سألت عن السبب قلتهُ لك وهو ان الله قد يتغاضى في هذه الدنيا عن بعض الاشرار ولا يتعقبهم لتعلم انَّ في الآخرة ديتونة. وامَّا تعقُّبهُ للبعض الآخر منهم هنا فلتنبيه الغافلين الى التوبة والصلاح ومثلهُ توفيقهُ لبعض الاخيار احياناً فانهُ لتحبيب الفضيلة الى الناس وامَّا عدم توفيقهِ للبعض الآخر من الاخيار فلتعلم ان عندهُ غير هذه الدنيا وهنالك يجازي الجميع على اعمالهم الجزاء التام المتوجب لهم » اه. قال المعلّم روسّو: « لو لم يكن عندنا بيّنة على عدم ميتوتة النفس الَّا مذلة البار وعزّة المنافق في هذه الدنيا لكفى بذلك دليلاً لنا على عدم الريب فيها فان الخلل العظيم الحاصل في النظام العام يدعوني

الى البحث عن حقيقته فاقول بعدئذٍ لنفسي لا ينتهي كل شيء معي عند نهاية حياتي من هذه الدنيا اذ انهُ عند الموت يصير تنظيم كل شيء» ثم رجع ثم الذهب وقال: « لا يخلو بارٌ من شر كما لا يخلو شريرٌ من برّ فلو ان الله عاجل الخطأة بالعقاب لباد جنس البشر لكنهُ قد يعاقب بعضهم هنا اقتياداً لهم الى التوبة فان لم يتوبوا عاقبهم في الآخرة ايضاً وبعضهم لا يُستحسن عقابهم هنا بل مع الشياطين في الآخرة وذلك لفرط فجورهم وشرورهم واما اذا استعمل مع بعض الاشرار المكابرين حلمهُ ورأفتهُ فذلك لانهُ تعالى ما احبّ ان يحرمهم من الخيرات الحاضرة ولو انهم احبّوا ان يحرموا انفسهم من خيرات الآخرة» ثم ختم كلامهُ احسن ختام بان قال: « انهُ لا يليق بنا قطعاً ان نسأل هذا السؤال وهو لماذا الاخيار في شقاء والاشرار في رخاء انما قلتُ ذلك من بعد ان اعلمنا الله بتلك النعيم المعظم وعذاب الجحيم الأليم » اه

لقد تبيَّن لنا يا معاشر الادباء الكرام ان مسألة الحظوظ في هذه الدنيا من اسرار العناية الازليَّة لا تدركها مداركنا البشريَّة وكم من اسرار في الطبيعة لم نتوصل الى ادراكها فلا يهمنا اذاً ان نبحث بعد في هذه المسألة بل يكفينا اعتبار امرين: (اولهما) ان الله يحبنا كثيراً لانهُ هو الذي خلقنا كما منهُ ومنَّة وهو مهتمٌ بنا ولا اهتمام الامهات باولادهنَّ وهو تعالى قد احصى شعور رؤوسنا دلالة على مبالغته في الاهتمام بنا وما من والدة فعلت كذلك بولدها. فلو انهُ تعالى جودهُ رأى ان الحال التي ترتاح اليها انت ايها اللبيب من غنى وصحة او طول حياة او رفعة مقام الى غير ذلك توافق خير نفسك لما ضنَّ عليك بها وهو قد بذل ابنهُ الوحيد لاجلك... (ثانيهما) ان الله عادل يجازي كل واحد حسب اعماله لكن الجزاء التام لا يكون الَّا في الآخرة. فانظر اذاً الى نفسك وما استحقَّت باعمالها فان طلبت المكافأة في هذه الدنيا عن حسناتك فلم لا تطلبها عن سيئاتك وان قلت بعد: لماذا انا غير موفَّق وغيري موفَّق حال كوني افضل منهُ واعقل واكفأ ? قلتُ لك: وهذه المواهب التي تدَّعيها من فضل وعقل وكفاءة انَّما هي من الله وهي فيك وليست فيه. ان الله سوف يجازيك بحسب استحقاقك في مكان المجازاة وزمانها وذلك في السماء بعد هذه الحياة فان طلبت جزاءك في الحاضرة هنا عاكست نظام الله وكان الجزاء غير وافٍ باستحقاقك ان خيراً وان شراً. هذا فضلاً عن كون هذه الحياة هي زمن الجهاد المرتَّب على الجميع. فكيف بك تطلب الاكاليل

قبل نهاية جهادك. وهذه امك الكنيسة المقدّسة التي اقامها السيد المسيح وقد شراها بدمهِ الكريم وما زال معها وفيها مقيم فانّها قد لاقت وما زالت تلاقي من ضروب الاضطهاد وعواصف الكفر وطغيان الفساد ما لا يخفى على من يطالعون تاريخها تطيرك وانت احد اولادها أفما ينبغي ان تتشبه بامّك في احتمال شيء من المكاره ولو بمماكسة الدهر لك لتصير اهلاً لنوال ذلك المجد المعظم في جنّات عدن « وجنّات عدن بالمكاره حُفّت ». وهذا معلّمنا الالهي الذي نهج لنا الطريق بعمله وتعليمه أما يلزمك ان تمشي على آثاره وحسب التلميذ ان يكون مثل معلمه. وهؤلاء رسله وانصاره الذين ساروا على خطواته قدّامك وهؤلاء المسيحيون الحقيقيون الذين عاشوا في الايمان والرجاء لم يكن يهمّهم شيء من احوال الدنيا بل كانوا قاصرين كل اجتهادهم واهتمامهم على نوال الخيرات المقبلة فما شأنك وهؤلاء كلّهم

فترى ممّا سبق انّ تباين الحظوظ في هذه الدنيا من جملة الامور الغامضة التي اخفتها علينا العناية الربّانيّة لمقاصد منها سامية كما اخفت علينا يوم موتنا وساعته لنعيش في السهر والتحفّظ منتظرين في كل هجعة مجيء ربّ البيت لنفتح لهُ ونؤدّي الحساب عن اعمالنا. فكذلك اخفى علينا سبحانه وتعالى ادراك اسرار عنايته في توزيع خيراته بين الصالحين والطالحين. الآن يشرق شمسهُ على الاخيار والاشرار معًا ويسكب غيثهُ على الابرار والفجّار دون فرق ولا تمييز ويدع القمح والزؤان ينبتان معًا الى اوان الحصاد ولا يفرق بين السمك الجيّد والرديّ الذي جمعته الشبكة حتى يتمّ نظام عالمنا هذا الذي سبق وقضى بهِ. ولولا ذلك لاضطرّت العناية ان تبليل كلّ يوم هذا النظام وتأتي في كلّ ساعة بعجائب غرائب فتسقي مثلًا حقل رجل صالح دون حقل جاره الطالح وتنزل البَرَد على ارض الرجل الشرير وترحم الرجل البار وكلاهما متجاوران متلاصقان في ارض واحدة وكذلك اذا حلّ زلزال تخرّب طابق رجل السوء وتضرب عن طابق رجل الخير وهلمّ جرًّا وفي كل ذلك من التشويش ما لا يطاق. فالاولى اذًا ان نقول مع القديس اوغسطينوس: « انّ توزيع الخيور والشرور سرّ حفظتهُ الحكمة الازليّة لنفسها. الآن خيرات الدنيا وويلاتها مختلطة مشتركة بين البشر والله سبحانهُ لم يفرق في توزيعها بين الاخيار والاشرار ولكن في الآخرة ليس الامر كذلك فانّ خيورها انّما هي للاخيار وحدهم كما انّ شرورها للاشرار فقط »

فلنسجدنّ خاضعين لتدابير العناية الالهيَّة ولنحذرنّ من التنقيب عنها ولنقبل بكل طيبة خاطر ما تقسمهُ لنا من خيرٍ وشرٍّ ولنواصل سفرنا في بحر هذا العالم كيف ما جرت الرياح طالبين الوصول الى تلك الخيرات المعدَّة للاخيار وحدهم والنجاة من الويلات المعدَّة للاشرار وحدهم وذلك في العالم الآتي

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٥ الامم البائدة في لبنان

٢ اليونان

انتقض حبل الاثوريين في الشام (ولبنان معها) بتغلُّب الفراعنة على سوريَّة. ثم تبعهم ملوك اشور الكلدانيُّون وخلف الفرسُ الاشوريين. وكلُّ هذه الدول بعد كسرتها تركت من آثارها شيئًا في بلادنا ولا بُدَّ ان يكون تخلّف من تلك الامم بعض بقايا امتزجت باهل فينيقية امتزاج الماء بالراح حتى لم يُعد يمكن افراز هذه العناصر الغريبة عن الاهلين الاصليين. وكان لبنان في عهد كل هذه الدول قليل السكَّان للاسباب التي ذكرناها في مقالاتنا السابقة وان كان عدد المهاجرين اليهِ لم يزل يزداد يومًا فيومًا بتراحم السكَّان وحرائة الآكام الواقعة عند منعطف الجبل

ولمَّا كانت اواخر القرن الرابع ظهر ذلك البطل الصنديد والملك العظيم اسكندر ذو القرنين المقدوني فكان اوَّل ما تطالَّ اليه عنقهُ البلاد السوريَّة وكان يملك عليها وقتئذٍ داريوس ملك الفرس فزحف اليها بجنوده بعد ان غلب اعداءهُ في سهول قيليقية قريبًا من مدينة ايسُوس فما مرَّ عليهِ بضعة اشهر حتى فتح سواحل فينيقية وخضعت لهُ دمشق ولم يقم في وجههِ الَّا صور فحاصرها مدَّة الى ان اخذها عنوة في تموز من سنة ٣٣٢

وكان في اثناء محاربة الاسكندر لصور قد اغتال بعض اجلاف اللبنانيين قومًا من اصحاب الملك فقتلوهم. فسار الاسكندر بقسم من عسكرهِ الى لبنان فلم يأتِ في

وجهه عدوًا ثم وصل الى البقاع والجبل الشرقي فعاد بعد عشرة أيام غانمًا ظافرًا

وما لبث ذو القرنين بعد فتح صور حتى أخضع بلاد فلسطين ومصر ثمَّ سار الى اقاصي المشرق ففتح ما فتح ومات بعد عشر سنوات في بابل سنة ٣٢٣ ق م

فصارت سوديَّة من بعدهِ الى احد قوَّادهِ سلوقوس نيقاطور فتملَّكها وألحق لبنان بها فصار هذا الجبل تحت حكم السلوقيين الى أيام الرومان

وهنا مبحثٌ مهمٌّ لم نكن لنتعرَّض لهُ لولا انَّ بعض الحدثين استندوا الى حجج واهية ليؤيدوا زعمهم الباطل

ودونك القضيَّة المطلوب بيانها هل يا تُرى لمَّا استولى اليونان على جبل لبنان غلب العنصر اليونانيّ العنصرَ الفينيقيّ بحيث يصحُّ القول انَّ اليونان من الامم التي استوطنت لبنان

نجيب على هذا القول بالاجمال أنَّنا بيَّنا غير مرَّة انَّ العنصر المتغلّب على سوديَّة في عهد اليونان كان العنصر الآراميّ لا اليونانيّ (راجع المشرق ٣ : ٢٦٨) . فان صدق ذلك عن سوديَّة عمومًا فهو اصدق واحقّ عن لبنان خصوصًا فانَّ آراميَّة سكَّانه في أيام الدولة اليونانيَّة اوضح من النهار

وكأني بالمعترض يستوقفني هنا ليردَّ على هذا القول بدليلين على زعمه مقنعين اوَّلهما اسماء اعلام الامكنة وثانيهما الكتابات اليونانيَّة في لبنان

نجيب على الاعتراض الاوَّل أنَّنا اذا استثنينا بعض امكنة من سواحل فينيقية او من مستعمرات اليونان (راجع المشرق ٣ : ٢٧٠) لا نكاد نجد اسم قرية في لبنان مشتق من اليونانيَّة بل اكثر الاسماء ان لم نقل كلها آراميّ محض مع بعض اسماء عربيَّة احدث عهدًا وترى المعابد الكبرى نفسها كدير القلعة وأفقا التي فُقدت اسماؤها الآراميَّة لا نعرف لها اسمًا يونانيًا . امَّا المدن الساحليَّة التي بدل اليونان اسماءها الآراميَّة فأنَّها عادت بعد حين الى اسمائها الاصليَّة

امَّا الاعتراض الثاني المستند الى الكتابات اليونانيَّة التي وُجدت في لبنان فانهُ يظهر لاوَّل وهلة اقوى حجة وادلَّ بيانًا ولكن اذا سبرناهُ بمعيار الانتقاد وجدناهُ واهنًا كالاعتراض السابق ولا يثبت البتَّة زعم المحتج

لا ننكر وجود الكتابات اليونانيَّة في لبنان وقد اسعدنا الحظ باكتشاف كثير

منها ابرزناها الى عالم الوجود في المجلات الاوربيَّة . ولكن مجرَّد وجود الكتابات اليونانيَّة في محلّ ما لا يدلُّ على كون اهل هذا المكان من اليونان . نرى اليوم في لبنان عدَّة كتابات تركيَّة او افرنسيَّة على بعض المباني المستحدثة فهل يستنتج احدٌ من هذه الخطوط انَّ اهل لبنان من العنصر التركي او الفرنسي ؟ وكذلك في لبنان عاديَّات وكتابات لاتينيَّة كثيرة من عهد الرومان فمن يا تُرَى زعم لاجل ذلك انَّ اهل لبنان كانوا رومانيين . وغاية ما يُستدلُّ من الامر انَّ الرومان ملكوا لبنان او انَّ بعض أُسرات منهم احتلَّت بعض انحاء الجبل لترويح النفس كما يفعل اليوم كثير من الاوربيين فكذلك الكتابات اليونانيَّة انَّما تدلُّ على انَّ اللغة الرسميَّة كانت في ذلك العهد لغة اليونان وانَّ بعض وجهاء اللبنانيين جنحوا الى آداب اليونان ولغتهم كما يتفرنج اليوم ابناء الوطن فلا يتكلَّمون بغير الفرنسيَّة ولا يكتبون الّا بها

فدليل الكتابات وحده لا يجدي اذن شيئًا لبيان عنصر امَّة ما اللهمَّ الّا بان يضاف الى ادلَّة أُخرى تاريخيَّة وضعيَّة تزيل الشبهات . وقد لحظ ذلك احد علماء عصرنا وهو تُلدكه الشهير (١ قال : « انَّهُ لا يجوز الاستناد على مجرَّد وجود كتابات في احدى اللغات او عدم وجودها للقول بان اهل ذلك البلد كانوا من ذلك العنصر او لا » . مثال ذلك مدينة بيروت التي لم يُلْتَقَ فيها حتى الآن كتابة فينيقيَّة افيسوغ ان نقول انَّها لم تكن فينيقيَّة ؟ كلَّا . وكذلك لبنان ساء من زعم ان اهلهُ كانوا يونان او رومان لوجود كتابات قديمة فيه من عهد هاتين الدولتين

وعلاوة على ما تقدَّم أنَّنا نرى الكتابات اليونانية المكتشفة في لبنان مشحونةً بالاغلاط مشوَّهة بالتصحيفات غير تامَّة المعاني وكلُّ ذلك دليل على انَّ النسَّاخ والحفَّارين كانوا يرسمون الالفاظ رسمًا ماديًّا وهم لا يدركون معانيها (راجع المشرق ٤ : ٦٤٦)

وان قال قائلٌ انَّ اعلام الاشخاص المرسومة على هذه الآثار يونانية اجبنا مع اكبر علماء التاريخ اليوناني وهو العلَّامة الشهير مُمسين (Mommsen) في تاريخه (٢ : « انَّ اغلب هذه الاسماء ليست يونانيَّة او اذا كانت يونانية ترى معها الاسم الفينيقي او الساميّ الذي كان يُعرَف بهِ الشخص » . وفي هذا القول بيِّنة واضحة على انَّ اليونانيَّة

١) راجع المجلة الاسيوية الالمانيَّة ZDMC, 1885, p 333

٢) راجع Rom. Gedichte V, 453

لم تكن سوى مسحة ظاهرة وزيّ خارجيّ تزيّا بهِ اهل لبنان حبًّا بالجاه وتشبّهًا بمتأدبي ذلك العصر

ولعلّ المعترض يزيد على ما سبق اعتراضًا ثالثًا بقولهِ: «ان قيام معبودات اليونان مقام آلهة فينيقية والشام دليل على تغلُّب اليونان». اجبنا ان هذا البرهان والحقّ على طرفي نقيض. فأنهُ لا يوجد بلدٌ حافظ اهلهُ على معبوداتهِ القديمة مثل لبنان والشام فانّ الدين الآراميّ والفينيقيّ صبر على كل التقلّبات السياسيّة الى ان غلبتهُ النصرانيّة. وكلُّ ما يمكننا ان نسلّم بهِ من هذا القبيل انّ بعض اسماء الآلهة الفينيقية برزت على صورة يونانيّة في لفظها. وكذلك اطلق الكتبة اليونان واصحاب الامر على هذه الالهة اسماء يونانية فدعوا هذا «جوبتير» وذاك «ابولون» امّا الاهلون فحافظوا على اسماء آلهتهم بكل حرص حتّى انّ المؤرخ مُنسن السالف ذكرهُ بيّن في تاريخهِ (ج ٥ ص ٤٥٢) ان اهل سوريّة لم يختلطوا باليونان الّا اختلاطًا ضعيفًا واثبت ذلك بأنهم حافظوا على اديانهم الخصوصيّة في حلب وافامية وحمص وتدمر. وكذا قل عن دير القلعة حيث شاعت عبادة بعل مرقد. وهذا البعل كان مشهورًا وقد ورد اسمهُ في الكتابات اليونانيّة على لفظ «جوبتير» لا لكونهِ الهًا يونانيًّا بل مراعاةً للدولة اليونانية واستجلابًا لخاطر اليونان والرومان استدرارًا لعطاياهم وهم يحجّون اليهِ . ولعلّ سدَنة بعل مرقد سمّوهُ ايضًا بهذا الاسم دلالةً على امانتهم للسلطة الرومانية واعتصامهم بحبلها. ولذلك ترى بعل بعلبك وبعل دير القلعة ملقَّبَين في الكتابات بالقاب جوبتير رومية العظمى المعروف «بجوبتير كابيتولان» فيُدعيان مثلهُ الالهَ السامي الاعظم (Jupiter optimus maximus) وكذلك ترى إلهةً ساميّةً ملقَّبة باسم إلهة الرومان «جونون الملكة (١)» (Juno regina)

وقد رسمنا هنا صورة تمثال جوبتير بعلبكّ الذي اكتشفهُ حضرة الاب رترفال في دير القلعة لترى كم يختلف الإله الفينيقي عن الإله الرومانيّ في الصورة والهيئة (انظر الصورة في الصفحة التالية)

واذا عدلت الى هيكل افقا وجدت كذلك عبادة عشتاروت الفينيقيّة مستترة

(١ Beitrage z. alten Gesch. II, 196



تمثال المشتري (بعل) البعلبكي في دير القلعة

برداء الإلهة الزُّهَرة اليونانية وان كانت كل واحدة مختلفةً عن الاخرى. وذلك يظهر من شعارها الذي لا يشبه في شيء شعار إلهة اليونان

وما قلناهُ عن العنصر الآرامي في لبنان يصح ايضاً عن لغتهم الدارجة فانَّها كانت الآراميَّة. وهو رأي المؤرخ الشهير مُمسن اذ قال (ص٤٥٢): «اني اظنُّ انَّ اللغة الآراميَّة كانت اللغة السائدة دون غيرها في لبنان على عهد قياصرة رومية». وان نسب احد هذا الكاتب الى الغلوّ والمبالغة ورأى انهُ بخس حقوق اليونانيَّة في الشام تصدَّى لهُ احد ائمَّة العلماء المبرّزين وهو نلدكه الالمانيّ الذي ليس فقط يوافق وطنيَّهُ مُمسن بل وجد انهُ مقصّر في حقوق الآراميَّة وقد اتى مصداقًا لقولهِ بحجج تثبت شيوع الآراميَّة بحيث لا يبقى بعدها ريب (١

(١) راجع ZDMG, 1885, 332-351

ثم ولو سلّمنا بان اللغة اليونانيّة طمست في لبنان آثار اللغة الآرامية فلا ينتج من انّ اصل اللبنانيين يونانيٌّ. وليست اللهجة وحدها كافية لتعريف الاصل. وانّما ذلك دليل يقتضي تأييدهُ بدلائل أُخرى تجلي الحقيقة وتوضحها. فانّ التاريخ ينبئ بوجود امم عديدة تكلّمت بلغة غير لغتها الاصليّة. فانّ اللاتينيّة مثلاً درجت بين شعوب شتّى لم يكن بينها ادنى علاقة. وقس عليهِ العربيّة وغيرها

وخلاصة القول انّ العنصر اليونانيّ كان دائمًا في لبنان عنصرًا زهيدًا لا يُعبأ بهِ. ونستميح القارئ عذرًا على أنّنا اطلنا القول في هذه القضيّة التي لا يختلف فيها اثنان بين علماء العاديّات (ستأتي البقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Variétés sinologiques, n° 20
La stèle chrétienne de Si-ngan-fou
3me *partie, par le P. H. Havret s. j. Chang-hai* 1902 p. 92
الكتابة النصرانيّة المكتشفة في سِنْغَنْفو

وصفنا في العدد الثاني من سنتنا الجارية (ص ٩١) كتابًا حديثًا وضعهُ الاب هفرت اليسوعيّ فنشرهُ في شنغاي من حواضر الصين ولمّا انتهى من طبعهِ فجأتهُ المنيّة وكانت وفاتهُ ضربة لازبة على الدروس الصينيّة التي كان يُعدُّ المرحوم من فحولها المبرّزين. وما زاد المستشرقين تأسّفًا عليهِ انّهُ لم ينجز كتابًا مطوّلًا باشر بطبعهِ بحث فيهِ بحثًا مدقّقًا عن كتابة شهيرة اكتُشفت في بلاد الصين في اواسط القرن السابع عشر في مدينة سِنْغَنْفو مكتوبة بالصينيّة والسريانيّة يرتقي عهدها الى القرن الثامن للمسيح وهي من آثار النساطرة الذين اتوا بلاد الصين فبشّروا بالايمان المسيحيّ وعمّروا كنائس لنحلتهم. وهذه الكتابة انتشر خبرها في اوربَّة فاسهب العلماء في وصفها فنهم من صدّق ومنهم من كذّب وقد ذكرها السمعاني في مكتبتهِ الشرقيّة. فاب هفرت اعاد النظر في هذه الكتابة ودرسها درسًا جديدًا وانتقد كلَّ ما كتبهُ عنها العلماء وبين صحّتها بحيث لم يُبقِ ريبًا لمستريب وكتابهُ اكمل واصدق ما وُضع في هذا الشأن وكان قد ابرز من عملهِ جزئين

مطوَّلين والعلماء في انتظار القسم الثالث وهو خاتمة الكتاب حين لبّى دعوة ربهِ فنال جزاء اعمالهِ. على انّ المرحوم وان لم يكن اعدَّ للطبع الجزء الاخير من كتابهِ كان وضع منهُ قسماً مهماً. فاحبَّ اخوتهُ المرسلون اليسوعيُّون أنْ ينشروا هـذا القسم على علاّتهِ لكثرة ما يتضمَّنهُ من الفوائد من جملتها الكتابة السريانيَّة وكنّا طبعناها في مطبعتنا الكاثوليكيَّة في بيروت وارسلناها للاب هڤرت ليضيفها الى كتابهِ. ومع هذه الكتابة ترجمتها الحرفيَّة وصورة لفظها فعسى هذا الاثر الاخير من قلم الاب هڤرت يحمل العلماء ان يذكروهُ بالخير ويستمطروا ديم رحمتهِ تعالى على صاحبهِ طيَّب الله ضريحهُ

Die Drusenschrift: Kitab Alnoqat Waldawair

كتاب النقط والدوائر (١٩٠٢. ص ١٥ + ٦٦)

herausgeg. mit Einleitung, Facsimile u. Anhængen versehen V. Dr Christian Seybold.

كتاب النقط والدوائر من الكتب المعتبرة التي ألّفها الموحّدون وكان العلاّمة دي ساسي في وصفهِ الجامع لكتب هذه الشيعة (١سها عن ذكر هذا التأليف فاحبَّ نشرهُ احد جهابذة المستشرقين وهو الدكتور سَيْبُلد من اساتذة كليَّة توبنغن في المانية فراجعهُ على نسختين خطيَّتين قديمتين الواحدة في خزانة مخطوطات منخن العربيَّة والثانية في مكتبة مدرسة توبنغن وطبعهُ طبعاً متقناً وصدَّرهُ بمثال فوتوغرافيّ من نسخة توبنغن مع مقدَّمة لتعريف خواصّ الكتاب ومضمونهِ واصطلاحاتهِ. وقد ألحق كتاب النقط والدوائر برسالتين وهما: ١ً الرسالة الموسومة ببدو (كذا) الخلق. ٢ً رسالة كشف الحقائق لحمزة بن علي. وكلتاهما في التوحيد. فنشكر لحضرة الناشر عملهُ هذا ونتمنَّى انهُ يتحفنا قريباً بتآليف أُخرى من جنسهِ لتعريف هذه الشيعة واحوالها المجهولة

ولمَّا كان المثل بالمثل يُذكر احببنا ان نصف هنا بعض كتب الموحّدين التي تُصان في خزانة كتبنا الشرقيَّة وكلُّها مجاميع تحتوي عدَّة رسائل

١ (المجموع الاوّل) كتابٌ صغير الحجم طولهُ ١١ سنتيمتراً وعرضهُ ٨ س منقوش الجلد صفحاتهُ ٤٣٨ خطّهُ احمر واسود متقن وفي اوّلهِ دائرة ملوَّنة وهذه رسائله: ١ ميثاق ولي الزمان ٢. ميثاق النساء. ٣ المناجاة مناجاة وليّ الحقّ. ٤ الدعاء المستجاب. ٥ التقديس دعاء الصادقين (كذا). ٦. ذكر معرفة الامام. ٧ رسالة التحذير والتنبيه. ٨ رسالة الاعذار والانذار. ٩ رسالة الرشد

(١ راجع كتابهُ Exposé de la religion des Druses

والهداية. ١٠ رسالة كشف الحقائق (وهي الرسالة المطبوعة المارّ ذكرها). ١١ رسالة الرضى والتسليم. ١٢ رسالة انفذها الى جماعة الموحّدين. ١٣ رسالة النية التي وردت على يدي يعلى. ١٤ مكاتبة الى اهل الكدية البيضاء. ١٥ رسالة من هادي المستجيبين. ١٦ شرح النفس. ١٧ جدول الذكر. ١٨ فرائض الميثاق. وهذه الرسالة غير تامّة

٢ (المجموع الثاني) طولهُ ٨ س، وعرضهُ ١٢س بجلد منقوش صفحاتهُ ٣٦٧ وسطورهُ ١١ بخطوط مختلفة. وهو مجموع قصص تقويّة للاولياء الموحّدين اوّلها قصّة السلطان ابراهيم بن ادهم. وفي هذا المجموع قطع ادبيّة واراجيز واشعار ومواعظ للموحّدين وغيرهم

٣ (المجموع الثالث) طولهُ ١٦س في عرض ١١ س بخط عاميّ غير متقن صفحاتهُ ٢٣٥ وسطورهُ في الصفحة ١١ سطرًا. مكتوب بخطّ عاميّ ناقص الاوّل والآخر وهو مجموع اراجيز واشعار دينيّة لشعراء مختلفين من الموحّدين. وفي خلالها بعض حكايات عن الصالحين

٤ (المجموع الرابع) طولهُ ٨ سنتيمترات في عرض ٧ س. مجلّد بجلد منقوش ومخطوط بخطّ نسخيّ جليّ صفحاتهُ ٥٧٣ ولكل صفحة ١١ سطرًا بدوهُ: «بسم الله سبعة احرف الباء دلّ النفس» الخ: ثم يليهِ ميثاق وليّ الزمان. ثم ميثاق النساء. ثمَّ المناجاة. ثمَّ التقديس دعاء الصادقين (كذا). ثمَّ دعاء لنجاة الموحّدين. ثمَّ ذكر معرفة الامام. ثمَّ رسالة التحذير والتنبيه. ثمَّ الاعذار والانذار. ثم ترتيب وتأليف في ظهور السيّد العظيم وقدومهِ بالعسكر. ثم شرح في مواجب موانع الثواب والعقاب (وهي غير تامّة). تنتهي بدائرة ملوّنة باشكال هندسيّة

٥ (المجموع الخامس) طولهُ ١٦ سنتيمترًا في عرض ١٢ س منقوش الجلد صفحاتهُ ٤٨٤ وسطورهُ بين ١١ و١٧ سطرًا بخطوط عاميّة مختلفة. اوّلهُ: «بسم الله الرحمن الرحيم. نبتدئ ونتوسل اليك يا مولاي في اسما الثمانا وعشرون (كذا) منزلة من منازل القمر» الخ. وفي هذا المجموع نحو مائة رسالة في التوحيد منها الرسالة المفضّلة ورسالة الرموز المتقيّة للشيخ الامام محمّد انطاكي ورسالة اختلاف العالمين لمحمّد ابن شعبه الحرّاني وكتاب حقائق اسرار الدين لابي محمّد الحسن بن علي بن شعبه. واكثر هذه الرسائل لا اسم لها يفرزها عن بعضها

٦ (المجموع السادس) طولهُ ١٩ سنتيمترًا بعرض ١٤ س ونصف. مجلّد بجلد منقوش. صفحاتهُ ٣٨٦ وسطورهُ ١٣. وهو مكتوب بخط نسخيّ مشرق بحرف احمر واسود. ورؤوس الرسائل منقوشة. وهو غير كامل هذه اسماء رسائلهِ:

١ نسخة السجلّ الذي وُجد معلّقًا على المشاهد في غيبة مولانا الامام الحاكم. ٢ نسخة السجلّ المنهيّ فيهِ عن الخمر. ٣ خبر اليهود والنصارى. ٤ رسالة القرمطي والجواب عليها. ٥ رسالة بدء التوحيد. ٦ رسالة البلاغ والنهاية. ٧ الغاية والنصيحة. ٨ كتاب فيهِ حقائق ما يظهر قدّام مولانا من الهزل. ٩ رسالة كشف الحقائق (المار ذكرها). ١٠ رسالة سبب الاسباب. ١١ الرسالة الدامغة للفاسق. الردّ على النصيري. ١٢ رسالة الرضى والتسليم. ١٣ رسالة النساء الكبيرة. ١٤ الصبحة الكائنة. ١٥ نسخة سجلّ المجتبى. ١٦ نسخة تقليد المقتنى. ١٧ رسالة الانصناء (كذا). ١٨ شرح الامام صاحب الكشف. ١٩ الرسالة التي أُرسلت الى وليّ العهد عبد الرحيم ابن الياس. ٢٠ الرسالة المنفذة الى القاضي. ٢١ ذكر معرفة الامام. ٢٢ رسالة الاعذار والانذار. ٢٣ رسالة النية. ٢٤ رسالة الزناد.

٢٥ رسالة الشمعة. ٢٦ رسالة الرشد والهداية (وهي غير تامة). وفي هذا المجموع رسائل أُخرى وردت في المجموعين الاوَّل والرابع

٧ (المجموع السابع) طولهُ ٢١ سنتيمترًا في عرض ١٥س منقوش الجلد. ص ٢٤٣ سطورهُ ١٣. وخطهُ كخط المجموع السابق. وفيهِ نحو ٢٥ رسالة كرسائل المجموع الاوَّل والمجموع السادس وهو يبتدئ بالرسالة الدامغة يليها رسالة الرضى والتسليم. وممَّا لم نجدهُ الَّا في هذا المجموع رسالة خمار ابن جيش السليمانيّ المكاويّ. وفيهِ رسالة الرشد والهداية (تامَّة). وفي آخر الرسائل قصيدة توحيديَّة للشيخ ابي ابراهيم اسماعيل بن محمَّد التميميّ الداعي المكنَّى بصفوة المستجيبين

٨ (المجموع الثامن) في طول المجموع السابق وعرضه. جلدهُ اسود قليل النقش. صفحاتهُ ٣٦٣. خُطَّ بخطوط قديمة مختلفة وكلُّها جليَّة بحبر اسود واحمر ونقوش ودوائر واشكال هندسيَّة فيهِ نحو ٣٠ رسالة ورد بعضها فقط في المجاميع السابق ذكرها وهو يبتدئ بهذا العنوان:

١ الجزء الاوَّل من سبعة اجزاء (كذا). ٢ رسالة التنبيه والتأنيب والتوبيخ والتوقيق. وممَّا تفرَّد بهِ هذا المجموع من الرسائل: ٣ تقليد الشيخ المختار. ٤ وتقليد سُكَين. ٥ وتقليد الشيخ ابي الكتائب. ٦ وتقليد الامير معضاد ابن يوسف. ٧ وتقليد بني جرَّاح. ٨ والرسالة الجُبَيهرِيَّة. ٩ ورسالة التعنيف والتهجين. ١٠ ورسالة الوادي. ١١ والرسالة المنفذة الى قسطنطين شملك النصرانيَّة. ١٢ والرسالة المسيحية. ١٣ ورسالة التعقُّب والافتقاد. ١٤ ورسالة الايقاظ والبشارة. ١٥ ورسالة الحقائق والانذار والتأديب لجميع الخلائق. ١٦ ورسالة العرب. ١٧ ورسالة اليمن وهداية النفوس. ١٨ ورسالة الهند الموسومة بالتذكار والكمال. ١٩ ورسالة التقريع والبيان. ٢٠ رسالة تأديب الولد العاقّ. ٢١ والرسالة القاسمة للفرعون. ٢٢ وكتاب ابي اليقظان. ٢٣ ورسالة الموحدين الطائعين. ٢٤ ورسالة السفر الى السادة وبها الختام

واعلم انَّ كلَّ هذه المجاميع لا تاريخ لها. وسبعة منها كُتبة بوقت واحد يرتقي عهدها الى نحو ٣٠٠ سنة او ٣٥٠ سنة

درجات الانشاء

تأليف نجيب حبيقه مدرس البيان سابقًا في كليَّة القديس يوسف في بيروت

الجزء الثالث ١٩٠٢– كتاب التلميذ (ص١٩١)– كتاب المعلّم (ص٢٥٧)

انَّ الطريقة المستحدثة التي جرى عليها مؤلف هذا الكتاب لارشاد الطلبة الى تعلُّم الانشاء اصابت قبولًا لدى كثيرين من ارباب المدارس ولا حاجة الى وصفها بعد ما ورد من ذكرها سابقًا في المشرق (٢: ٨١٢ و٣: ٤٣) وكفانا القول هنا انَّ هذه الدرجة الثالثة من درجات الانشاء كالدرجتين الاولين في حسن التنسيق وتعدُّد التمرينات وكثرة الفوائد. وممَّا استحسنَّاهُ خصوصًا في هذا القسم الجديد ابوابهُ الثلاثة الاخيرة اي

الروايات والرسائل والتعريب فلن المعلم يجد فيها مادةً واسعة لتهذيب عقول الاحداث وتمكينهم في اساليب الكتابة ل.ش

شذرات

مقالتنا في اللآلئ العثمانيَّة — شرَّفتنا جريدة المعلومات المطبوعة بالاستانة العليَّة بنقل هذه المقالة الطيّبة التي اثبتها في المشرق (ص ٥٩٧) جناب الاديب يوسف افندي ف. ضاهر. وهذه مقالة ثالثة نقلتها رصيفتنا عن مجلّتنا دون ان تنوّه باسمها. فنرجو من مديريها الكرام ان لا يخلوا بذكر مجلّتنا في صحيفتهم الغرَّاء.

صيانة الكتب من العثّ — من آفات الكتب العثُّ الذي يقرضها فيتلفها بعد سنين قليلة. وكان مكتب علماء فرنسة جعل جائزة قدرها الف فرنك لاحسن مقالة تبحث عن ضروب العثّ وخواصّه وعن اقرب الطرائق الى اتلافه. فسابق ثلاثة وعشرون كاتبًا وتشكّلت لجنة لفحص مقالاتهم تحت نظارة مدير المكتبة العموميَّة في باريس السير ليوبُلد دِليل (L. Delisle) فكان السابق احد النمسويين حنَّا بول (Johann Bolle) مدير المكتب الاختباري الكيمويّ في غوريتس واذا ما نُشرت مقالتهُ اسرعنا الى افادة قرَّائنا عن الطريقة التي اشار اليها صاحب الجائزة لاتلاف العثّ. وممَّا لحظناهُ مرارًا في بلادنا انَّ سلخ الحيَّة اذا وُضع منهُ شيءٌ في احد الكتب لا تمسُّهُ هذه الدويّبات مطلقًا

متحف دوليّ للتجارة والصنائع — يسعى الفرنسيس في انشاء متحفٍ يجمعون فيهِ امثلةَ متَّجرات كلّ الدول ومصنوعاتها وممّا يودع فيهِ قوانم ولوائح محصولات دولة ودولة وصادرات كلٍّ منها ومدخولاتها. وهم يبنون على انشاء هذا المتحف آمالًا طيّبة لترويج التجارة وتنشيط الصنائع

جسور نهر التاميز — التاميز نهر لندرة من الانهار المتوسطة الكبر مجراهُ نحو ٢٤٠ كيلومترًا واكثر خطورهِ التجاري عند مصبّهِ. وهو مع ذلك اكثر انهر العالم جسورًا فانَّ الجسور المبنيَّة لاجتيازهِ في مجراه تبلغ ١١٢ جسرًا تختلف اشكالها على اختلاف عهد بنائها والبعض منها باقٍ من القرن التاسع حتى الآن

﴿ وقاية الحليب من الفساد ﴾ هذه طريقة لوقاية الحليب من الفساد يجري عليها الاميركيون فيحفظون الحليب شهورًا دون ان يتغيَّر طعمهُ وذلك انهم يضغطون الحليب بالحامض الكربونيك في اوعية خاصَّة ثم يسخنونهُ حتى تبلغ حرارتهُ ٧٠ من المقياس المئري فيتطاير الحامض الكربونيك بعد ان يكون اباد من الحليب كلّ الجراثيم التي بها يختمر فيفسد. والحليب المستحضر على هذه الطريقة يودع في آنية خصوصيَّة مضغوطًا بالاكسيجين. فيبقى طيّب الطعم مدَّة اشهر ويمكن نقلهُ الى بلاد بعيدة

﴿ حاسَّة الشمّ في النمل ﴾ النمل من اعجب خلق الله في طبائعهِ وممَّن خصَّصوا حياتهم في درس اخلاقهِ احد علماء الطبيعة في المانية كتب عنهُ المقالات المسهبة وهو الدكتور البحث بيتي (A. Bethi) . وقد اثبت في جملة كتاباتهِ انَّ طوائف النمل تعادي بعضها فلا تختلط طائفة بأخرى البتَّة . امَّا كيف تعرف كلّ طائفة ذويها فبحاسَّة الشم الذي يبلغ في النمل غايةً من الدقَّة . وقد بيَّن ذلك بعدَّة براهين منها انَّ النملة اذا وقعت في الماء فقدت رائحتها الخاصَّة فتقاتلها اخواتها كأنَّها من طائفة أخرى. وكذلك جرَّب الامر في بعض نملات غسلهنَّ بالكحول فرأى للحال جبَّة النمل تهاجم هذه المغسولات لفقدها الرائحة الخاصَّة بطائفتها. ومن براهينهِ لاثبات دعواهُ انَّهُ نزع عن بعض النمل اداة شمّها فرآها ضائعة بين اهل طائفتها تنتقل من وكرها الى وكر غيرها. ومنها ايضًا انَّهُ قتل نملةً ومرخ بها نملةً غريبة فادخلها في وكر النملة المقتولة فلم يؤذها جبَّة النمل بشيء.

﴿ المدخنون في فرنسة ﴾ يبلغ عددهم اليوم ستَّة ملايين يشرب نصفهم الغليون والباقون السيجاره. وعدد السواجير التي تُشرب في النهار لا تقلّ عن ٨٠٧,٠٠٠,٠٠٠ وفي السنة عن ٢٩٤,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ولو أُوصلت هذه السواجير بعضها على شكل حبل امكن تدويرها حول الكرة الارضيَّة ٥١٤ طاقًا

﴿ علماء اليسوعيين في المانية ﴾ قد فاه النائب سپاهن (Spahn) بخطبة بليغة في دار الندوة وسأل الحكومة الالمانية لاي سبب لم يصادق اعضاء المجلس الاتحادي على الشريعة التي قرَّرها ثلاثًا مجلس الرشستاغ في الغاء الشريعة القاضية بنفي اليسوعيين من المانية . ثم ذكر ما لليسوعيين الالمانيين من الايادي البيض في خدمة وطنهم

دينًا ودنيا. ولمّا انتقل الى ذكر رجال العلم بين اليسوعيين قال:

«ما من فرع بين الفروع العالميّة التي افتخر بها القرن التاسع عشر ألّا ولليسوعيين الالمان فيها تآليف خطيرة تدلّ على طول باعهم. ففي التاريخ اجلى الاب اهرل (Ehrle) مدير المكتبة الواتيكانيّة الغوامض عن عاديات القرون المتوسّطة وآدابها بما نشره من المؤلّفات المعتبرة. وتاريخهُ النفيس المعنون «تاريخ مكتبة الاحبار الاعظمين» من اجل آثار هذا العصر. وفي الفنون الصناعيّة المسيحية قد برز الاب بيسّل (Beissel) بتآليفهِ الشهيرة. وفي الفصاحة يشير علماؤنا بالبنان الى الاب بومغارتنر (Baumgartner). ولهُ في اكثر من عشرين مجلّدًا ضخمًا تاريخ فصاحة الامم القديمة والحديثة. فضلًا عن تآليف أُخرى عديدة في البلاغة والكتابة. واشتهر في الآداب اليونانية القديمة الاب فوكس (Fox) ولهُ كتاب عجيب في الخطيب ديموستان. وفي الكتابات الاشوريّة يُنظم الاب ستراسماير (Strassmaier) في عداد اعظم المستشرقين. ولو لم يكن لهُ غير معجمِ الاشوري لخلّد ذلك ذكرهُ وهو الذي فكّ معضلات ٣٠٠٠ كتابة مسماريّة. وفي العلوم الفلكية لا يجهل احد اسم الاب اپنغ (Epping) الذي اكتشف ارصاد البابليين وفتح بابها المرتج. ولمّا اختطفتهُ المنية خلفهُ الاب كوغلر (Kugler). وفي العلوم الهندسيّة برع الاب داهلمان (Dahlmann). والعلوم الطبيعية تعدُّ الاب ڤاسمان (Wasmann) من اكبر انصارها وقد وصف طبائع الدويبات الصغرى وصفًا استحقّ لهُ اطيب الثناء من وصفائهِ. وكذلك الاب درسّل (Dressel) من مشاهير الطبيعيين. امّا اللاهوت والفلسفة والعلوم القانونية وشرح الكتب المقدّسة فانّ علماء اليسوعيين الالمانيين اكثر من ان يُحصَوا منهم الاب لمكول (Lehmkhul) والابوان كريستيان وتلمان پش (Pesch) والاب كرنيلي (Cornély) والاب كنآبنباور (Knabenbauer) والاب هُمّلاور (Hummlauer) وكثيرون غيرهم. وقد ذاع اسم الاب سپيلمان (Spillmann) في الروايات وحسن الكتابة... الخ

أسئلة وأجوبة

س سألنا ي. ع. من أدباء تلامذتنا القدماء ما هي اقدم كتابة تُعرف بالعربية

اقدم كتابة عربية

ج اقدم كتابة تُعرف بالعربية كتابة وجدها المستشرق الشهير ادوَرْد ساخو في زَبَد جنوبيَّ شرقي حلب وهي مكتوبة بثلث لغات في السريانية والعربية واليونانية تاريخها سنة ٥١٢ للمسيح اعني قبل الهجرة بمئة وعشر سنوات. امَّا موضوعها فهو تاريخ لمعبد أُقيم تذكاراً للقديس سركيس الشهيد. امَّا قلمها فهو قريب للسريانيَّة لكنَّهُ مختلف عنها. وكذلك لفظها فهو من العربيّ العاميّ الشبيه بالسريانيَّة(١. واقدم كتابة بعدها تاريخ وجده في حوران وادنغتون رقم نحو خمسين سنة قبل الهجرة باليونانيَّة والعربيَّة على معبد لذكر القديس يوحنَّا المعمدان

وسأل من سان باولو الاديب بولس الخوري سمان: ١ً من الذي اختبر عن دود القزّ انهُ يصنع حريراً. وفي ايّ وقت حلَّ بلاد سوريَّة. ٢ً باي لغة تكلم آدم وحوَّاء

اكتشاف دود القزّ – لغة آدم وحوَّاء

نجيب على (الاوَّل) ان الصينيين اوَّل من اكتشف دود القزّ واصطنع الحرير وذلك قبل المسيح باكثر من الف سنة. امَّا انتشارهُ في بلاد سوريا فيرتقي الى القرن السادس للمسيح. نجيب على (الثاني) ان لغة آدم وحوَّاء لا يعرفها غير الله. وكلُّ ما قالهُ العلماء في ذلك سابقاً لا يتجاوز التخمين والظنّ وآراءهم اليوم مدحوضة ل. ش

تصحيح بعض اغلاط طبعيَّة وقعت في المشرق السنة الخامسة: ٢٦٧ س ١١ و١٢ « خانكين » صوابهُ « خانقين » = ٢٧٩ س ١١ « صنَّفهُ قبل عبد الرحمان الهمذاني » وقع فاعل الجملة وهو « ابن السكّيت » = ٣٠٦ س ١٧ و ١٨ « اعماهُ فيه » لفظة « اعماهُ » في هذا المحلّ غلطة طبع والصواب ان تُجمل في آخر السطر ١٨ بعد « الذي » = ٣٣٢ س ٢٢ « امكنهُ في ان يلطّف » ص « امكنهُ ان يلطّف » = ٣٣٤ س ١٥ « تواضُع » ص « تواضَع » = ٣٤٣ س ٦ « لا تنتشر » ص « لا تنتشِرْ » = ٤٤٧ س ٩ « جسد المسيح ودمهِ » ص « ودمهُ » = ٤٦٥ س ٢ « يوشا وتوما ثم » ص « يوشا وتوما ومتَّى ثم » = ٤٧٨ س ١٩ « وهُمُهُمَا » ص « وهُمُهُمْ » = ٤٨٤ س ٩ « بترميو » ص « بترميسهِ » = ٤٨٥ س ٢١ « بحيرية » ص « بحيرة » = ٤٩٥ س ٩ « لا يتخذونهُ » ص « لا يتَّخذونَهُ » = ٥١٧ « اية الاعلام » ص « الائمَّة الاعلام » — س ٧ « وكُرُمَتْ » ص « وكَرُمت » = ٥١٨ س ٦ « وطب ضمنانهِ » ص « وطب ضمانهِ » = ٥٤١ س ١٩ « بمنى السطر » ص « بمنى المطر » = ٥٤٢ س ٢١ « لفظة واحد » ص « لفظة واحدة » = ٥٤٦ س ٢٥ « لهُ دخلُ » ص « لهُمْ دَخْلٌ » = ٥٦١ س ١١ « وحدت » ص « وحدا » = ٥٧٣ س ٢٢ « يبخس في حقوق » ص « يبخس من حقوق » = ٥٦٤ س ٢٢ « يوحنا الشوبر » ص « يوحنَّا الشويتر » = ٦٢٨ س ٢٢ « مولاء » ص « مؤلاء »

---

١) راجع المجلة الاسيوية الالمانية ZDMG, XXXVI, 342-352